كيف تكونين ناجحة ومحبوبة في

في

طلب العلم

ميساء محمد عرعار

219
م ك

... المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٢
ترخيص رقم : (٧١)

كيف تكونين ناجحة في طلب العلم

تأليف
ميساء عرعار

عمان - الأردن
2004
الطبعة الأولى
2004م - 1424هـ

الرواد للطباعة والنشر والتوزيع

رقم التصنيف : 216.5
المـؤلـــــف : عرعار، ميساء
عنوان الكتاب : كيف تكونين ناجحة في طلب العلم
رقـم الإيداع : 2597 / 12/ 2003
الواصفـــات : / الإسلام // العلوم /

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
2004 م - 1424 هـ

الرواد للطباعة والنشر والتوزيع
Al Rowad for Publishing & Distributing

هاتف ، 4628455 فاكس، 4628455 ص ب 7649 الرمز البريدي 11118
عمان- شارع السلط- مجمع الفحيص التجاري
e-mail:row_pub@yahoo.com

ردمك ISBN - 9957- 37- 018- 9

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون﴾** [آل عمران: ١٠٢] **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾** [النساء: ١] **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾** [الأحزاب: ٧٠ -٧١].

أما بعد :

فإن للعلم في الإسلام شأنا وأي شأن، ويكفي للدلالة على منزلته أنه صفة من صفات الله جل جلاله: **﴿وهو السميع العليم﴾** [الأنعام: ١٣]، وأنه سبحانه قد أمر به قبل العمل **﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾** [محمد: ١٩] وما ذلك إلا لأن صحة العمل مرهونة به، وقد أمر جل جلاله الرسول -صلى الله عليه وسلم- بطلب الاستزادة منه فقال: **﴿وقل رب زدني علماً﴾** [طه: ١١٤]، وقد استفاض حديث

القرآن الكريم عن العلم حيث وردت مادة علم فيه أكثر من سبعمائة مرة ، كذلك لم يخل كتاب من كتب السنة من كتاب موضوعه العلم ، ولهذه المنزلة العالية كان طلبه فريضة كما أخبر الرسول -صلى الله عليه وسلم - في قوله : "**طلب العلم فريضة على كل مسلم**" [أخرجه ابن ماجه في سننه وصحّحه الألباني]، ومن هذا الفرض ما يكون فرض عين ومنه ما يكون فرض كفاية فكل ما يحتاج إليه لصحة العبادة فهو فرض عليه فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وماعدا ذلك من سائر العلوم التي نحتاج إليها في إقامة حياة سوية فإن تعلمه على الكفاية أي أنه لابد أن يكون في المسلمين من يعلمه بالقدر الذي يسد حاجتهم إليه وإلا أثم المسلمون جميعاً ، وهذا الاهتمام البالغ بالعلم وبهذه الصورة إنما يمثل المكانة الحقيقية لعلم. ويبرز أثره في الحياة، فالحياة التي لا تؤسس على العلم الشرعي حياة عديمة الفائدة، والإسلام الذي ينزل العلم هذه المنزلة هو دين العلم، ودين النقل والعقل، "**إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر**" [أخرجه الترمذي]. ولهذا كانت أبرز خصائص الدعوة إلى الله هو قيامها على البصيرة أي العلم ﴿**قل هذه سبيلي أدعو إلي الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين**﴾ [يوسف : ١٠٨].

هيفاء عرعار

آيات قرآنية في العلم مع تفسيرها

قوله عز وجل: ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط**﴾ (آل عمران ٣: ١٨) فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا وقال الله تعالى: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾ (المجادلة: ١١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام. وقال عز وجل: ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾ وقال تعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ وقال تعالى: ﴿**قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب**﴾ وقال تعالى: ﴿**قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به**﴾ تنبيها على أنه اقتدر بقوة العلم. وقال عز وجل: ﴿**وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا**﴾ بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم. وقال تعالى: ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**﴾ وقال تعالى: ﴿**ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم**﴾ رد حكمه في الوقائع إلى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله. وقيل في قوله تعالى: ﴿ **يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم**﴾ يعني العلم (وريشا) يعني اليقين (ولباس التقوى) يعني الحياء. وقال عز وجل: ﴿**ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم**﴾وقال تعالى: ﴿**فلنقصن عليهم بعلم**﴾ وقال عز وجل: ﴿**بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم**﴾ وقال تعالى: ﴿خلق الإنسان۝ علمه البيان﴾ وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان.

أحاديث نبوية تحث على العلم

عَنْ مُعاويةَ رضيَ اللهُ عنهُ قال قالَ رسول اللهِ صلى اللهُ عليْه وسلَمَ: [**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ**] (متفق عليه).

عَنْ ابنِ مَسْعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال قالَ رسول اللهِ صلى اللهُ عليْهِ وسلَمَ: [**لا حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاه اللهُ مَالاً فسَلَّطَهُ عَلى هَلَكتِهِ في الحَقِّ ورَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقضِي بِها وَ يُعَلِمُّها**] (متفق عليه).

عن سَهْل بنِ سَعد رَضيَ اللهُ عنهُ أنَّ النَّبيَّ صَلى اللهُ عليْه وسلم قال لعلي رضي اللهُ عنهُ : [**فو اللهِ لأنْ يَهْديَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِن حُمْرِ النَّعَمِ**] (متفق عليه).

عن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليْه وسَلَّمَ قال: [**وَ مَنْ سَلَكَ طَرِيْقاً يَلْتَمِسُ فيْهِ عِلْمَاً سَهَّلَ اللهُ لهُ طَرِيْقاً بِهِ إلى الجَنَّةِ**] (رواه مسلم).

عن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليْه وسَلَّمَ قال: [**مَن دَعَا إلى هُدَى كانَ لَهُ مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِمَنْ تبعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أجُورِهِم شَيْئاً**] (رواه مسلم).

عن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ قالَ قالَ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليْه وسَلَّمَ : [**إذَا مَاتَ ابنُ آدَمَ انقطَعَ عمَلُهُ إلاَّ منْ ثَلاثٍ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**] (رواه مسلم).

عـن أبي هُريرةَ رَضيَ اللهُ عنهُ قالَ سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عليْه وسَلَّمَ يَقُول: [مَنْ خَرَجَ في طَلَبِ العِلْمِ فهو في سَبِيْلِ اللهِ يَرْجِعَ] (رواه الترمذي).

عَن أبـي أُمَامَـةَ رضـيَ اللهُ عـنهَ أنَّ رسـولَ اللهِ صَـلَّى اللهُ علـيْه وسـلمَ قـالَ: [فَضْـلُ العَـالِمِ علـى العَابِدِ كَفَضْـلِي علـى أدْنَاكُمْ] ثم قالَ رَسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليْه وسَلَّمَ: [إنَّ اللهَ ومَلائِكَتَهُ وَأَهْلُ السَّمَواتِ والأرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ في جُحْرِهَا وَ حَتَّى الحُوتَ لَيُصلُّونَ على مُعَلِمِي النَّاسِ الخَيْرَ] (رواه الترمذي).

عَن أبي الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ يَقُولُ: [مَن سَلَكَ طَرِيْقَاً يَبْتَغِي فِيْهِ عِلْمَاً سَهَّلَ اللهُ لهُ طَرِيْقَاً إلى الجَنَّة وإنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْم رِضَاً بِما يَصْنَعُ وَ إنَّ العَالِمَ لَيَستَغفِرُ لهُ مَن في السَّمواتِ ومَـن في الأرضِ حَتَّـى الحِيْتَانُ في المَاءِ وفَضْلُ العَالِمِ عَلى العَابِدِ كَفَضلِ القَمَرِ على سَائِرِ الكَوَاكِبِ وإنَّ العُلَماءِ وَرَثَةُ الأنبِيَاءِ وإنَّ الأنبِيَاءَ لمْ يُوَرِّثُوا دِيْناراً ولا دِرْهَمَاً وَ إنَّما وَرَّثُوا العِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ].

العلم في ست كلمات

التقى النبي عيسى المسيح (عليه السلام) براع في الصحراء، فقال له: أيها الرجل! أفنيت عمرك في الرعي، ولو قضيت عمرك في طلب العلم وتحصيله لكان أفضل لك؟

فقال الراعي: يا نبي الله! أخذت من العلم ست مسائل وأعمل بموجبها.

الأولى: ما دام الحلال موجوداً لا آكل حراماً.

الثانية: ما دام الصدق موجوداً لا أكذب.

الثالثة: ما دمت أرى عيبي، لا أنشغل بعيوب الآخرين.

الرابعة: حيث لم أجد إبليس قد مات لا أئتمن وساوسه.

الخامسة: ما دمت لا أرى خزانة الله خالية لا أطمع بكنز المخلوق، ولحد الآن لم تنقص خزانة الله حتى أحتاج لمخلوق.

السادسة: حيث لم أر رجلي تطئان الجنة، لا أؤمن عذاب الله تعالى.

فقال عيسى (عليه السلام): هذا هو علم الأولين والآخرين الذي قرأته أنت وأخذته.

أدب طلب العلم ومنهج الطلب

أولاً: فضل العلم:

قال تعالى: ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم..**﴾ الآية (آل عمران: ١٨).

وقد تقدم ما فيها من الدلالة على فضل العلماء وما فضلوا إلا لفضل العلم في صدورهم .. وعن معاوية رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**] (متفق عليه).

وعن عثمان رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**] (متفق عليه) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [**لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**] (متفق عليه).

وقال ابن القيم رحمه الله: "وهو تركة الأنبياء وتراثهم وأهله عصبتهم ووراثهم وهو حياة القلوب ونور البصائر، وشفاء الصدور، ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين وهو الميزان الذي توزن به الأقوال والأعمال والأحوال، وهو الحاكم المفرق بين الشك واليقين والغي والرشاد والهدى والضلال"[1].

(1) مدارج السالكين ٢/٤٧١.

وقال: "وهو حجة الله في أرضه بين عباده وقائدهم ودليلهم إلى جنته ومدنيهم من كرامته"[1].

وكفى بمن هذا شأنه فضلاً وشرفاً.

ثانياً: العلم المحمود والعلم المذموم:

العلم المحمود هو العلم الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم، الكتاب والسنة، وما يحتاج إليه لفهم الكتاب والسنة..

قال الله تعالى: **﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب﴾** (سبأ: ٥)

قال ابن القيم رحمه الله: "فهذا نص صريح في أن هدي الرسول صلى الله عليه وسلم إنما يحصل بالوحي فيا عجباً كيف يحصل الهدى بغيره من الآراء والعقول المختلفة والأقوال المضطربة؟ **﴿ولكن من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾**" [2].

وقال تعالى: **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾**.. الآية (النساء: ٥٩).

قال ابن القيم: ".. إنَّ الناس أجمعوا على أن الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته" [3].

---

(1) المصدر السابق ٤٧١/٢.

(2) الرسالة التبوكية ص٥٤.

(3) أعلام الموقعين ٥٠/١.

وقال تعالى: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ (النحل: ٦٤).

وفي الحديث: [تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه] (رواه مالك بلاغاً والحاكم موصولاً وهو صحيح).

وعن العرباض بن سارية مرفوعاً: [عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة] (رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه)

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر] (رواه أبو داود والترمذي)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لكن جماع الخير أن يستعين بالله سبحانه في تلقي العلم الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه هو الذي يستحق أن يسمى علماً وما سواه إما أن يكون علماً فلا يكون نافعاً، وإما أن لا يكون علماً وإن سمي به، ولئن كان علماً نافعاً فلا بد أن يكون من ميراث محمد صلى الله عليه وسلم ما يغنى عنه مما هو مثله، وخير منه، ولتكن همته فهم مقاصد الرسول في أمره ونهيه وسائر كلامه فإذا اطمأنَّ قلبه أن هذا هو مراد الرسول فلا يعدل عنه" [1].

(1) مجموع الفتاوى.

قال الإمام الذهبي رحمه الله :

العلم قال الله قال رسوله | قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة | بين الرسول وبين رأي فقيه

والعلم المذموم هو كل ما يؤدي إلى مخالفة ما جاء عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. كالفلسفة وعلم الكلام والتصوف المخالف لهدي النبي صلى الله عليه وسلم، والرأي المخالف للسنة.

قال الإمام أحمد: "وقد روى غير واحد ممن مضى من سلفنا رحمهم الله أنهم كانوا يقولون القرآن كلام الله عز وجل وليس بمخلوق وهو الذي أذهب إليه ولست بصاحب كلام ولا أرى الكلام في شيء من هنا إلا ما كان في كتاب الله عز وجل أو في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة أو عن التابعين، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود" [1].

وقد أطبق علماء السلف على التحذير من علم الكلام، ومن الرأي المذموم المخالف لما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن التمسك في غير هدي النبوة..

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فمحمد صلى الله عليه وسلم أرسل إلى كل أحد من الإنس والجن: كتابيهم وغير كتابيهم، في كل ما يتعلق بدينه من الأمور الباطنة والظاهرة في عقائده وحقائقه وطرائقه وشرائعه فلا عقيدة إلا عقيدته، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا طريقة إلا طريقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا يصل أحد من الخلق إلى الله تعالى وإلى رضوانه وجنته وكرامته، وولايته إلا بمتابعته

(1) السنة لعبد الله ابن أحمد ١/١٣٩.

باطناً وظاهراً في الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة في أقوال القلب وعقائده وأحوال القلب وحقائقه وأقوال اللسان وأعمال الجوارح "[1].

فالعلم المذموم هو كل ما جانب هدي سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم في كل أمور الدين، وجماع العلوم المذمومة التي اشتغل بها المتنسبون إلى العلم - أعاذنا الله منها - ترجع إلى ثلاثة علوم: الفلسفة والكلام، وعلم التصوف الطرقي البدعي، وعلم الرأي المخالف للسنة.

فالأول أدى إلى مخالفة ما جاء عن الرسول في أمور التصديق والغيب والإيمان، والثاني أدى إلى مخالفته في العبادة والنسك وعمل القلب والجوارح، والثالث أدى إلى مخالفته في الأحكام والشرائع.

ثالثاً: آداب الطلب:

١) العقل والدين:

قال الإمام الشعبي: "إنما كان يطلب العلم من اجتمعت فيه خصلتان العقل والنسك، فإن كان عاقلاً، ولم يكن ناسكاً قال هذا أمر لا يناله إلا النساك فلن أطلبه وإن كان ناسكاً، ولم يكن عاقلاً قال هذا أمر لا يناله إلا العقلاء فلن أطلبه -يقول الشعبي - فلقد رهبت أن يكون يطلبه اليوم من ليس فيه واحدة منهما لا عقل ولا نسك"[2].

---

(1) مجموع الفتاوى ١٠/٤٣١.

(2) سير أعلام النبلاء ٤/٢٠٧.

٢) الإخلاص لله:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله: **[من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة]** (رواه أبو داود).

٣) حسن السمت والتزام الخلق الطيب:

قال الذهبي رحمه الله: "ينبغي للعالم أن يتكلم بنية وحسن قصد فإن أعجبه كلامه فليصمت وإن أعجبه الصمت فلينطق، ولا يفتر عن محاسبة نفسه فإنها تحب الظهور والثناء" [1]

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله: "ومن علامة إخلاص طالب العلم أن يكون صموتاً عما لا يعنيه، متذللاً لربه، متواضعاً لعباده، متورعاً متأدباً لا يبالي ظهر الحق على لسانه أو لسان غيره، ولا ينتصر لنفسه ولا يفتخر ولا يحقد ولا يحسد ولا يميل به الهوى ولا يركن إلى زينة الدنيا" [2].

وعلى طالب العلم أن يتخلق بمكارم الأخلاق فإنه ليس كأحد من الناس إذ كان من ورثة الأنبياء.

قال الإمام الآجري عن حامل القرآن: "مقبلاً على شأنه، مهموماً بإصلاح ما أفسد من أمره حافظاً للسانه مميزاً لكلامه إن تكلم تكلم بعلم إذا رأى الكلام

---

(1) السير ٥/٢٢٨.

(2) مجموع الرسائل والمسائل النجدية ٤/٤٠٦.

صواباً وإذا سكت سكت بعلم إذا رأى السكوت صواباً قليل الخوض فيما لا يعنيه، يخاف من لسانه أشد مما يخاف من عدوه"

وقال: "باسط الوجه طيب الكلام لا يمدح نفسه بما فيه، فكيف بما ليس فيه، يحذر نفسه أن تغلبه على ما تهوى مما يسخط مولاه، لا يغتاب أحداً ولا يحقر أحداً، ولا يسب أحداً ولا يشمت بمصيبة، ولا يبغي على أحد، ولا يحسده ولا يسيء الظن بأحد إلا لمن يستحق"

وقال: "ولا يجهل فإن جهل عليه حلم، ولا يظلم وإن ظلم عفى لا يبغي فإن بغي عليه صبر، يكظم غيظه ليرضي ربه، ويغيظ عدوه متواضع في نفسه إذا قيل له الحق قبله من صغير أو كبير يطلب الرفعة من الله لا من المخلوقين ماقت للكبر خائف على نفسه منه" (1).

قال الإمام مالك: "حق على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية والعلم حسن لمن رزق خيره وهو قسم من الله تعالى" (2).

ومن أدب العلم الورع عن القول بغير علم، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى: "أدركت عشرين ومئة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار إذا سئل أحدهم عن شيء ود أن أخاه كفاه" (3).

---

(1) أخلاق حملة القرآن للآجري دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ص/٧٨)

(2) السير ٨/١٠٨.

(3) السير ٤/٢٦٣.

منهج الطلب:

١) القرآن الكريم أولاً:

يبدأ الطالب بتعلم ترتيل القرآن وتجويده وحفظه ويستمر معه هذا حتى ينهى حفظه ويحافظ على تعاهده والعناية به في جميع مراحل العلم.

٢) التدرج، والبدء بالكليات قبل الجزئيات:

وينبغي لطالب العلم أن يتدرج في الطلب فيحفظ أولاً مختصراً من كل فن، ويضبطه على شيخ متقن، ولا يشتغل بالمطولات، وتفاريق المصنفات قبل ضبط واتقان أصل الفن، ولا ينتقل من مختصر إلى آخر بلا سبب.

وكذا في كل فن لا يتوثب على المطولات والخلاف العالي قبل المختصرات والمسائل السهلة..

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن: "وأما كيفية الطلب ففي حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن فقال: إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب... الحديث" فيه بيان كيفيته والبداءة بالأهم فالأهم من واجبات الإيمان وأركان الإسلام، وينتقل درجة درجة من الأعلى إلى ما دونه ثم بعد ذلك يتعلم ما يجب من الحقوق بخلاف ما يفعله بعض الطلبة من الاشتغال بالفروع والذيول، وفي كلام شيخ الإسلام قدس الله روحه من ضيع الأصول حرم الوصول ومن ترك الدليل ضل السبيل"[1].

---

(1) مجموع الرسائل والمسائل النجدية ٣/٢٩٠.

٣) اختيار الشيخ المربي والرفيق الصالح:

ويختار الشيخ المربي ذا اللسان الورع والخلق الحسن ويعامله معاملة حسنة فيحسن السؤال ويحسن الإنصات، ويحرص على المذاكرة والحضور.

ويختار الرفيق الصالح الحريص على العلم، ويتجنب اللعاب البحاث عن الخلاف والقيل والقال، المنشغل بما لا يعنيه.

٤) العناية بكتب أهل السنة:

ويعتني بالكتب لا سيما التفاسير الموثوقة، ومصنفات أهل السنة في الاعتقاد، وكتب السنة والآثار السلفية، والفقه المبني على الدليل.

ويكون له عناية خاصة بكتب الإمامين ابن تيمية وابن القيم والمجدد محمد بن عبد الوهاب، وعلماء الدعوة السلفية، وكتب المحققين، أهل العلم بالسنة والأثر كابن عبد البر، والذهبي، وابن كثير، وابن رجب وابن حجر، والشوكاني، ومحمد الأمين الشنقيطي، وأمثالهم من المتقدمين والمتأخرين رحمهم الله أجمعين، مع العناية بمصنفات علوم العربية.

◆ منهج دراسة العلوم الإسلامية:

١) منهج دراسة التوحيد:

فيبدأ بالثلاثة أصول، والقواعد الأربعة، فكشف الشبهات، فكتاب التوحيد مع فتح المجيد.

ثم يقرأ تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد والواسطية، والحموية لشيخ الإسلام، ثم يقرأ التدمرية له، فمختصر الصواعق المرسلة لابن القيم، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز.

ثم يكون متأهلاً إن شاء الله لمطولات هذا الباب كالصحيحين والسنن الأربع والمجلدات المشتملة على العقيدة من مجموع فتاوى ابن تيمية ومنهاج السنة النبوية ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية ونحوها.

٢) منهج دراسة الفقه:

بعد أن يتعلم المبتديء فروضه العينية في العبادات من الكتب المبينة لوصف عبادة النبي صلى الله عليه وسلم.

يبدأ الطالب لعلم الفقه في التفقه على مذهب الحنابلة مثلاً، فيقرأ مختصر ابن قدامة (عمدة الفقه) ابتداءً، ثم يطالع بعده الروض المربع شرح زاد المستقنع، فإذا أتقنه طالع الكافي لابن قدامة، فالمغني له..

قال الإمام الذهبي: "ولكن شأن طالب العلم أن يدرس أولاً مصنفاً في الفقه فإذا حفظه بحثه وطالع الشروح فإن كان ذكياً، فقيه النفس، ورأى حجج الأئمة فليراقب الله وليحتط لدينه..."[1].

ثم يتأهل -إن كان ذكياً نابهاً- بعد ذلك للبحث والاستدلال في الفقه، وليحرص طالب علم الفقه أثناء الطلب على معرفة الدليل ولو في الجملة ويوطن نفسه على ترك التعصب، وعلى التجرد للدليل الصحيح وإن خالف مذهبه.

وليحفظ مع المسائل أدلتها من السنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وليجتهد أن يعتصم في كل باب من أبواب العلم بأصل مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم"[2].

ودراسة الفقه على المذهب لا غنى للطالب عنها، إذ لا يمكنه التعرف على دقائق الفقه وفروعه، ولا تحصيل مَلَكَةِ الاستدلال على المسائل، ولا الدربة على إلحاق الوقائع بالنصوص، وتعليل الأحكام، ومعرفة القياس وطرق الفقهاء في استنباط الفتوى من دلالات الألفاظ، والترجيح في مسائل الخلاف لا يمكنه ذلك بعيداً عن دراسة المذاهب المشهورة المخدومة.

لكن يجب على طالب علم الفقه أن يعود قلبه التجرد للدليل، ولا يجوز له اعتقاد أنه متعبد لله بما في مذهبه عزائمه ورخصه، وان خالف الدليل، ويتعصب له، فإن ذلك محرم عند الأئمة جميعاً.

(1) سير أعلام النبلاء ٨/٩٠.

(2) مجموع الفتاوى ١٠/٦٦٤.

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "وإذا تفقه الرجل في مذهب من المذاهب الأربعة ثم رأى حديثاً يخالف مذهبه فاتبع الدليل وترك مذهبه كان مستحباً بل واجباً عليه إذا تبين له الدليل، ولا يكون بذلك مخالفاً لإمامه الذي اتبعه، فإن الأئمة كلهم متفقون على هذا الأصل: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد رضي الله عنهم أجمعين، قال الإمام مالك: "كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وقال الشافعي لأصحابه: "إذا صح الحديث عندكم فاضربوا بقولي عرض الحائط". وفي لفظ إذا صح الحديث عندكم فهو مذهبي، وقال الإمام أحمد رحمه الله: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان...

وأما إذا لم يكن عند الرجل دليل في المسألة يخالف القول الذي نص عليه العلماء أصحاب المذاهب فنرجو أنه يجوز له العمل به لأن رأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا، وهم إنما أخذوا الأدلة من أقوال الصحابة فمن بعدهم ولكن لا ينبغي الجزم بأن هذا شرع الله ورسوله حتى يتبين الدليل الذي لا معارض له في المسألة، وهذا عمل سلف الأمة وأئمتها قديماً وحديثاً والذي ننكره هو التعصب للمذاهب، وترك اتباع الدليل" [1].

وقال العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين: "فإن كان له فهم قوي وإدراك بحيث إذا نظر المسائل الخلافية ورأى أدلة كل من المختلفين، وكان فيه ذكاء وفطنه يدرك به الراجح من المرجوح فيما يراه عمل بما ترجح عنده فإذا كان طالب

---

(1) الدرر السنية ٤/٧.

العلم متمذهباً بأحد المذاهب الأربعة ثم رأى دليلاً مخالفاً لمذهب إمامه، وذلك الدليل قد أخذ به بعض أئمة المذاهب، ولم يعلم له معارضاً فخالف مذهبه وتبع ذلك الإمام الذي أخذ بالدليل كان مصيباً بل هذا هو الواجب عليه"[1].

٣) منهج دراسة التفسير:

يبدأ بتفسير السعدي (تيسير الكريم المنان)، ثم بعده تفسير ابن كثير، ففتح القدير للشوكاني، وأضواء البيان للشنقيطي، ثم يقرأ في التفاسير المطولة كابن جرير الطبري.

٤) منهج دراسة الحديث:

يبدأ بالأربعين النووية ورياض الصالحين، ثم بلوغ المرام ثم الصحيحين والكتب الستة، ثم يطالع شروح الحديث.

ويقرأ في مصطلح الحديث اختصار علوم الحديث لابن كثير، فالنخبة لابن حجر، فتدريب الراوي للسيوطي، ويدرس طرق التخريج، والحكم على الأسانيد مع التدريب على ذلك عملياً على يد شيخ متقن..

٥) منهج دراسة أصول الفقه:

يقرأ الورقات للجويني فشرح لها، فروضة الناظر، ثم شرح الكوكب المنير لابن النجار، ويقرأ بعد ذلك، الموافقات للشاطبي، وفي القواعد الفقهية كتاب السعدي..

---

(1) مجموع الرسائل والمسائل النجدية ٢/١٥٢.

٦) منهج دراسة السيرة:

يقرأ في السيرة: الفصول في سيرة الرسول لابن كثير، ثم سيرة ابن هشام، وزاد المعاد لابن القيم..

٧) منهج دراسة التاريخ:

ويقرأ في التاريخ: البداية والنهاية، والعواصم من القواصم لابن العربي، ثم سير أعلام النبلاء للذهبي.

❖ ويقرأ في علم الدعوة الأصول العلمية للدعوة السلفية لعبد الرحمن بن عبد الخالق ورسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية.

❖ ويقرأ في النحو: شرح متن الآجرمية ومتممة ابن الأهدل ثم قطر الندى، ثم شذور الذهب في معرفة كلام العرب، فشرح الألفية لابن عقيل

❖ ويقرأ في البلاغة: البلاغة الواضحة للجارم، ثم تلخيص المفتاح للقزويني.

٨) منهج دراسة الزهد والسلوك:

يبدأ الطالب بقراءة الجواب الكافي، ثم مقدمة إغاثة اللهفان من وساوس الشيطان، ثم مدارج السالكين وكلها لابن القيم، ورسالة في أعمال القلوب لابن تيمية (التحفة العراقية في الأعمال القلبية)، ويقرأ (أخلاق حملة القرآن) للآجري.

ويطالع في صفة الصفوة لابن الجوزي، وتراجم السلف في الأجزاء المروية في الزهد والرقائق ككتاب الزهد لهناد ولوكيع بن الجراح، والإمام أحمد بن حنبل.

◆ جماع أمر الطلب:

وإذا حصل الطالب جل ما في الكتب المتقدمة أو نحوها مما يتضمن ما فيها من المعارف، تأهل إن شاء الله لتعليم الناس وإفتائهم في عامة ما يحتاجونه من أمور الدين والتأليف في ذلك.

فإن تعاهد الإطلاع على المطولات، ومارس الفقه والاستنباط، وباحث أهل العلم والفتوى وأمعن النظر في فن الخلاف تأهل إن شاء الله للفتوى في النوازل والتصنيف في دقيق العلم، والإمامة في الدين على قدر ما يؤتى من التقوى، ويجتهد في التحصيل على قدر ما يوهب من استعداد الذهن وذكاء العقل.

هذا وإن أعظم سبب في تحصيل المقصود هو التقوى، قال الإمام عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب: "وأما السبب في تحصيله فلا أعلم سبباً أعظم وأنفع وأقرب في تحصيل المقصود من التقوى قال تعالى: **﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً﴾** (النساء: ٦٦)

وفي الأثر: (من عمل بما علم وَرَّثَهُ الله علم ما لم يعلم).

قال الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم نور ... ونور الله لا يؤتاه عاصي

ومن الأسباب الموجبة لتحصيله، الحرص والاجتهاد. قال تعالى: **﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾** ومنها إصلاح النية، وإرادة وجه الله والدار الآخرة،

فإن النية عليها مدار الأعمال ولا يتم أمر ولا تحصل بركته إلا بصلاح القصد والنية"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقد أوعبت الأمة في كل فن من فنون العلم إيعاباً فمن نور الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك ومن أعماه لم تزده كثرة الكتب إلا حيرة وضلالاً"[2].

---

(1) مجموع الرسائل والمسائل النجدية ٣/٢٩٠.

(2) مجموع الفتاوى ١٠/٦٦.

فضيلة التعلم

أما الآيات: فقوله تعالى: **﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾** (سورة التوبة: الآية ١٢٢) وقوله عز وجل **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾** (سورة النحل: الآية ٤٣، وسورة الأنبياء: الآية ٧).

وأما الآثار: فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ذللت طالبا فعززت مطلوبا. وكذلك قال ابن أبي مليكة رحمه الله: ما رأيت مثل ابن عباس، إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجها، وإذا تكلم فأعرب الناس لساناً، وإذا أفتى فأكثر الناس علماً. وقال ابن المبارك رحمه الله: عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة؟ وقال بعض الحكماء: إني لا أرحم رجالا كرحمتي لأحد رجلين: رجل يطلب العلم ولا يفهم، ورجل يفهم العلم ولا يطلبه. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: لأن أتعلم مسألة أحب إلي من قيام ليلة. وقال أيضاً: كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك. وقال عطاء: مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو. وقال عمر رضي الله عنه: موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه. وقال الشافعي رضي الله عنه: طلب العلم أفضل من النافلة. وقال ابن عبد الحكم رحمه الله: كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلي، فقال: يا هذا ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: من رأى أن الغدو إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص في رأيه وعقله.

فضيلة التعليم

أما الآيات فقوله عز وجل: **﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾** (سورة التوبة: الآية ١٢٢) والمراد هو التعليم والإرشاد وقوله تعالى: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه﴾** (سورة آل عمران: الآية ١٨٧) وهو إيجاب للتعليم وقوله تعالى: **﴿وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾** (سورة البقرة: الآية ١٤٦) وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى في الشهادة: **﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾**(سورة البقرة: الآية ٢٨٣)

وأما الآثار؛ فقد قال عمر رضي الله عنه من حدث حديثا فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل وقال ابن عباس رضي الله عنهما معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل وروى أن سفيان الثوري رحمه الله قدم عسقلان فمكث لا يسأله إنسان فقال اكروا لي لأخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وإنما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به وقال عطاء رضي الله عنه دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال ليس أحد يسألني عن شيء وقال بعضهم العلماء سرج الأزمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره وقال الحسن رحمه الله لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم أي أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية وقال عكرمة إن لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه وقال يحيى بن معاذ العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم قيل وكيف ذلك قال لأن آباءهم

وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة وقيل أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم ما تجهل فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل في التعليم والتعلم ورأيته أيضا مرفوعا تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على الدين والمصبر على السراء والضراء والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها حديث معاذ تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة الحديث بطوله رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب وابن عبد البر وقال ليس له إسناد قوي لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوة الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد وبه يمجد وبه يتورع وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو إمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء

أقوال العلماء في العلم

وأما الآثار فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل: يا كميل، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق، وقال علي أيضا رضي الله عنه: العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه، وقال رضي لله عنه نظماً:

مَا الفخرُ إلا لأهلِ العِلْمِ إنَّهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاَّءُ
وقَدْرُ كلِّ امرىء ما كان يُحْسِنُه ... والجَاهِلُون لأهْلِ العلم أعَداءُ
فُفزْ بعلمٍ تَعِشْ حياً به أبداً ... النَّاس موتى وأهلُ العِلْمِ أحْياءُ

وقال أبو الأسود: ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: خُيِّر سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه.

وسئل ابن المبارك: من الناس؟ فقال: العلماء قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد. قيل: فمن السفلة؟ قال: الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم؛ فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله، وليس ذلك بقوة شخصه، فإن الجمل أقوى منه، ولا بعظمه فإن الفيل أعظم منه، ولا بشجاعته فإن السبع أشجع منه، ولا بأكله فإن الثور أوسع بطنا منه، ولا ليجامع فإن أخس العصافير أقوى على السفاد منه، بل لم يخلق إلا للعلم. وقال بعض العلماء: ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم، وأي شيء

فاته من أدرك العلم. وقال عليه الصلاة والسلام: **[من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي خيرا منه فقد حقر ما عظم الله تعالى].**

وقال فتح الموصلي رحمه الله: أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت؟ قالوا: بلى، قال: كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت. ولقد صدق فإن غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته، كما أن غذاء الجسد الطعام، ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به؛ إذ حب الدنيا وشغله بها أبطل إحساسه؛ كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح في الحال وإن كان واقعا؛ فإذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحسَّ بهلاكه وتحسر تحسرا عظيما ثم لا ينفعه وذلك كإحساس الآمن خوفه والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات في حالة السكر أو الخوف، فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.

وقال الحسن رحمه الله: يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه موت رواته، فوالذي نفسي بيده ليود رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم، فإن أحدا لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلي من إحيائها. وكذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله. وقال الحسن في قوله تعالى: **﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾** (سورة البقرة: الآية ٢٠١. سورة التوبة: الآية ١٢٢) إن الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة وفي الآخرة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء أي الأشياء تقتني قال الأشياء التي إذا غرقت سفينتك

سبحت معك يعني العلم وقيل أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس إماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار.

وقال الشافعي رحمة الله عليه من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح ومن رفع عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه يا أيها الناس عليكم بالعلم فإن لله سبحانه رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه فإن أذنب ذنبا استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الأحنف رحمه الله كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل مصيره وقال سالم بن أبي الجعد اشتراني مولاي بثلثمائة درهم وأعتقني فقلت بأي شيء أحترف فاحترفت بالعلم فما تمت لي سنة حتى أتاني أمير المدينة زائرا فلم آذن له وقال الزبير بن أبي بكر كتب إلي أبي بالعراق عليك بالعلم فإنك إن افتقرت كان لك مالا وإن استغنيت كان لك جمالا وحكى ذلك في وصايا لقمان لابنه قال يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء وقال بعض الحكماء إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقال الزهري رحمه الله العلم ذكر ولا تحبه إلا ذكران الرجال.

صفات طالب العلم الناجح

❖ همة لا تعرف النكوص ، ورغبة ملحة ، وشهوة فيه عارمة ، وحماس منقطع النظير ، وحرص على الفائدة.

❖ معرفة ثمرة العلم الجليلة ، وعاقبته المحمودة ، ونتيجته الرائدة.

❖ التدرج في الطلب جملة جملة وحديثا حديثا وبابا بابا .

❖ اغتنام الحفظ وقت الصبا وأوائل الشباب.

❖ التخصص ومعرفة الفن المحبذ والتركيز عليه لتظهر الموهبة.

❖ تنويع أساليب الطلب من التلقي على الأساتذة وقراءة الكتب وسماع الدروس والتأمل والمذاكرة.

❖ التكرار مع ضبط المعلومة وتحقيق المسألة والرسوخ العلمي.

❖ الاهتمام بالابداع والابتكار ونبذ التقليد والمحاكاة.

❖ التطواف في الفنون الأخرى لأخذ فكرة مع جرد المطولات والنظر فيما جد به العصر.

❖ الاهتمام بالتصنيف في فنه وتعليمه ومراجعته في كل وقت.

❖ العمل بالعلم الشرعي النافع وهذا والله بيت القصيد ورأس المال.

نصائح لطلاب العلم

أولا : الإخلاص ، فان الإخلاص هو رأسمال الداعية ، وهو ربحه ، وهو كل شيء بالنسبب له قال تعالى **﴿قل إني أمرت أن اعبد الله مخلصا له الدين﴾** وقال مؤكدا أيضا **﴿قل الله اعبد مخلصا له الدين﴾** وقال صلى الله عليه وسلم : **[ثلاث لا يغل عليهن قلب أمرئ مسلم إخلاص العمل لله]**.

ثانيا : التثبت ؛ وذلك أن سوء الظن وسرعة تصديق الأخبار من أكبر أسباب القطيعة والوقيعة ، لذلك أمرنا بالتثبت. وإن كان أمر التثبت عاما ، فإنه بين أهل العلم والفضل أولى ، وإني لأرجو من الإخوة الدعاة زيادة الحرص في الرواية ، فإنه كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع.

ثالثا : سعة الصدر والدفع بالحسنى ، ذلكم لأن المسلم أخو المسلم وقد بين المولى ثمار الدفع بالحسنى مع العدو فكيف مع المسلم ، فقال سبحانه : **﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾** ، فيجب على المسلم أن يلتمس لأخيه العذر ويصبر عليه وهذا من لوازم الدعوة كما بينه في سورة العصر.

العلاقة بين العلم والخلق

هذا الموضوع من الموضوعات المرتبطة بالتراث التربوي والتعليمي عند المسلمين، وفي أي تراث لابد أن نجد الجوانب المشتركة ونجد الخصوصيات، وفي التراث النفسي عند المسلمين وفي تطبيقاته في علم التربية هناك أمور تقنية ومنهجية تُدرس في إطار علمي محايد، وأمور أخرى تختص بها الحضارة الإسلامية وتُدرس في إطار المرجعية الفكرية والعقدية لهذه الحضارة - وهي الإسلام -.

هذه الأمور المشتركة هي الأفكار والآراء التربوية ذات الطابع التقني والإجرائي، وهذه تخضع للاختبار العلمي التجريبي، فلا يمكن أن نرجع إلى الوراء؛ فنجمد على آراء تربوية تم تجاوزها علميّاً، ونكون في تمسكنا بها معتمدين على مجرد انتسابها إلى التراث، فاعتماد المنهج التجريبي لأجل الوصول إلى أحسن الطرائق وأفضل الأساليب التعليمية منهج إسلامي أصيل، والتخمينات الذاتية - إذا لم تمر بمرحلة التجربة - تبقى فروضاً قابلة للصواب والخطأ معاً، وفي التراث أمثلة لهذه الآراء التربوية التي أصبحت تتمتع بقيمة تاريخية فقط لكنها متجاوَزة من الناحية العلمية.

لكن الذي يجد امتداده في الحاضر واستمراره في المستقبل: هو تلك القيم التي تميز حضارتنا رغم التطور الذي عرفته النظريات التربوية في العصر الحاضر، وهذه القيم يجب التعامل معها بشكل مختلف، فإذا كنا في مجال النظريات نحتكم إلى المنهج العلمي القائم على وضع الفروض والتحقق منها وفق مراحل

مشتركة بين الباحثين، فإننا في مجال القيم والأخلاق نستلهم مبادئ ديننا ونحتكم إلى العلم الثابت الذي جاءنا من عند الله.

والعلاقة بين العلم والخلق هي من هذا المجال الثاني، فأخلاقنا متميزة داخل قاعة الدرس، وفي الشارع، وفي المحكمة، وفي المصنع، وفي الحافلة، وفي كل مؤسسة من مؤسسات المجتمع.

غير أن استلهام التراث في تحديد العلاقة بين العلم والخلق لا يعني التسليم بكل ما جاء فيه عنها، فالتراث يُذكر ويُقصد به: كل ما وصل إلينا من الآباء والأجداد، وهذا معنى عام يشمل الكتاب والسنة، كما يشمل الكتب والمخطوطات التي ضمت علم المتقدمين وأدبهم وتاريخهم، فإذا استعملنا هذا المعنى العام للتراث فيجب أن نميز فيه بين الجانب الإلهي والجانب البشري، وذلك حتى تختلف طريقة تعاملنا مع ما ورد في هذا التراث عن العلاقة التي نحن بصدد دراستها، ففي الوقت الذي سيكون الوحي ـ أو الكتاب والسنة ـ معياراً ثابتاً تعرض عليه كافة الأخلاق التي ألح عليها العلماء في مجال العلم والتربية، ستكون اجتهاداتهم في تنزيل هذه الأخلاق على الواقع محل استفادة واستئناس لاختلاف الظروف والعصور.

إن الحديث عن العلاقة بين العلم والخلق في ظل الحضارة الإسلامية وثيق الصلة بمشروع التأصيل الإسلامي للعلوم الإنسانية بعامة، هذه العلوم التي ليست لها صبغة إسلامية، وتحتاج في البيئة الإسلامية إلى وجهة تميزها عن وجهتها السائدة حالياً في الغرب.

نحن بحاجة إلى ربط الصلة بين آخر ما توصل إليه البحث العلمي في علم النفس وتطبيقاته في التربية وبين ما يزخر به تراثنا النفسي والتربوي.

إن الإنجازات التي حققهـا علم التربية الحديث إنجازات لا تنكر، ويكفي أنه أسس الأساليب التربوية على الدراسة التجريبية والبحوث الميدانية، بعيداً عن التخمينات النظرية والمعلومات المكتبية، لكن هذه الإنجازات لم تملأ الفراغ الخاص بالقيم، لأن العلم التجريبي لا يستطيع أن يملأه، وإنما يملؤه الدين أو ما يقوم مقامه من فلسفات وضعية - بالنسبة للعلمانيين -.

ولقد تعرضت العلاقة بين العلم والخلق للاضطراب في ظل النظريات التربوية الغربية، وأحدثت ثنائية التعليم وعلمانيته قطيعة بينهما في الحضارات الغربية، فأصبحت الأخلاق موضوعاً من موضوعات الدراسة، بينما صارت بقية العلوم تدرس دراسة تخصصية محضة، واعتبرت الأخلاق مسألة شخصية، وتم فصل الجوانب المعرفية عن الجوانب الأخلاقية، وأصبحت السياسات التعليمية تهتم بالجانب التقني والإداري، فالمهم هو تكوين أطر متخصصة لسد حاجات البلد، ولا يهم الجانب الأخلاقي في هذا التكوين، ونحن نريد أن تعود إلى هذه العلاقة حيويتها، كما كانت في ظل الحضارة الإسلامية، لأن التكوين التقني أو التخصصي العلمي المعزول عن التربية الأخلاقية لن يعطي الشخصية المنشودة لبناء الأمة وخدمة أهدافها.

لقد تعلم المسلمون من دينهم: أنه لتحقيق الشخصية الإسلامية المنشودة لابد من الاهتمام - أثناء التربية - بالجسم والعقل والروح، ولأجل هذه النظرة المتكاملة لم يكن العلم نظرياً فحسب، ومهما تكن قيمة المعلومات التي يحصلها

الإنسان فلابد لصاحب العلم ـ كيفما كان اختصاصه ـ أن يلتزم بالقيم الخلقية التي يفرضها العلم على أهله.

ونقصد بالعلم هنا: جميع العلوم التي يدرسها الإنسان سواء أكانت دينية مصدرها الوحي أو دنيوية مصدرها العقل، كما نقصد بالخلق: الجانب الذي يقابل العلم، وهو يرادف العمل.أو التطبيق.

وفي المجال الذي نتحدث عنه هناك ثلاثة أنواع من الأخلاق يُطالبُ بها أهل العلم:

- **أخلاق علمية:** يتخلق بها المرء في فترة التعلم والدراسة.

- **أخلاق مهنية:** يتخلق بها عندما يمارس اختصاصه سواء أكان تعليماً أو غيره.

- **أخلاق اجتماعية:** يتخلق بها في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه.

أمثلة تؤكد العلاقة بين العلم والخلق في الفكر التربوي الإسلامي:

تكثر الأمثلة التي تجسد اهتمام المسلمين بهذه العلاقة، نذكر بعضها:

◆ **المثال الأول:** الوصية التي يوصي بها الأستاذ تلميذه قبل عودته إلى بلده وجلوسه للتدريس والفتيا، أو ما يمكن تسميته بالتوجيهات التربوية عند التخرج، وكلها كانت وصايا أخلاقية تحث على الأمانة والتواضع وفعل الخير ونشر العلم والإخلاص لله، ومما ورد في وصية أبي حنيفة لتلميذه يوسف بن خالد

السمتي ؛ إذا دخلت البصرة واستقبلك الناس وزاروك وعرفوا حقك، فأنزل كل رجل منهم منزلته: أكرم أهل الشرف، وعظم أهل العلم، ووقر الشيوخ، ولاطف الأحداث، وتقرب من العامة، ودارِ التجار، واصطحب الأخيار، ولا تتهاون بالسلطان، ولا تقولن من الكلام ما ينكر عليك في ظاهره..[1].

◆ **المثال الثاني**: الإجازات التي كان يجيز بها العلماء تلاميذهم، وما كانت تتضمنه من الأمر بتقوى الله ولزوم طاعته والقيام بحق العلم عملاً ونشراً، فمن العلماء من كان يفصل شروطه التي يجيز على أساسها طلابه ومن سأله الإجازة من أهل العلم، ومنهم من كان يحيل على شروط العلماء المتعارف عليها، كما أجاز ابن خلدون لجماعة من علماء مصر أثناء مقامه بها - وفيهم الإمام ابن حجر العسقلاني - فكتب في إجازته: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أجزت لهؤلاء السادة، والعلماء القادة، أهل التحصيل والإفادة والفضل والإجادة، والإبداء في الكمال والإعادة، جميع ما سألوه ورجوه من الإجازة وأملوه، على شروطه المعتبرة عند العلماء، وأخبرهم أن مولدي عام اثنين وثلاثين وسبعمئة، والله (تعالى) ينفعنا وإياهم بالعلم وأهله، ويجعلنا من سالكي سبله، وكتب بذلك عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، منتصف شعبان عام سبعة وتسعين وسبعمئة[2].

لقد كان الانتقال من مرحلة التلقي والتلمذة إلى مرحلة التدريس والمشيخة مرحلة حاسمة لها هيبتها، ولذلك: حفها العلماء بشروط علمية وأخلاقية صارمة.

---

(1) أحمد شلبي: التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، ص٣٣٢، ط ثانية، مكتبة النهضة المصرية.

(2) ابن خلدون: المقدمة، جـ١ ص٤٣٩، دار نهضة مصر، بتحقيق علي عبد الواحد وافي.

ورغـــم أن الإجازات لم تكن في أول الإسلام لقرب العهد بالنبوة، ولشيوع الأمانة، لكنها ظهـرت بعد الابتعاد عن عصر النبوة، وطالت سلسلة الإسناد لضبط الرواية، والأخذ عن الثقات، والإجازة: عبارة عن إذن يمنحه المجيز لشخص آخر يسمى مُجازاً، يأذن له فيه أن يـروي عنه رواية قرآنية أو أحاديث نبوية أو أشعاراً أو فقهاً أو لغةً أو غير ذلك، وقد يكون المستجيز طالباً دَرَسَ عند الشيخ المجيز، وقد لا يكون، لكن يشترط في الإجازة أن يكون المجيز عالماً بما يجيز به، ثقة في دينه وروايته، معروفاً بالعلم، وأن يكون المستجيز من أهل العلم وطلابه حتى لا يوضع العلم في غير أهله.

◆ **المثال الثالث:** موقف الأسرة والآباء من هذه العلاقة، وحرصهم على استفادة أبنائهم من التعليم: العلم والخلق جميعاً، ويظهر هذا في وصاياهم للمعلم عند تسليمه الولد، وقد أوصى عبد الملك بن مروان معلم ولده فقال له(1): علّمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، وجنبهم السفلة؛ فإنهم أسوء الناس بدعة، وأقلهم أدباً، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة، وأحف شعورهم تغلظ رقابهم، وأطعمهم اللحم يقووا، وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا، ومرهم أن يستاكوا عرضا، ويمصوا الماء مصّاً ولا يعبوه عبّاً، وإذا احتجت أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في ستر، لا يعلم به أحد من الحاشية فيهونوا عليه.

فهذه الوصـية اشتملت على توجيهات صحية وأخرى علمية وأخرى أخلاقية تبعاً لنظرة الإسلام إلى المكونات الثلاثة: الجسم، والعقل، والروح.

(1)ابن قتيبة: عيون الأخبار، جـ٢ ص١٦٧، نقلاً عن: أحمد شلبي: مرجع سابق ص٦٣.

◆ المثال الرابع: حضور الثقافة الدينية بقوة في المراحل الأساسية للتعليم، ثم في المراحل التالية، وشعار ذلك: البداية التي كان سيبدأ بها الطفل بعد تعلم القراءة والكتابة، وهي حفظ القرآن الكريم، يقول ابن خلدون: تعليم الولدان القرآن الكريم شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أقطارهم، لِمَا يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده بسبب آيات القرآن ومتون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات[1].

ورغم أن العلوم التي كانت تدرس في المدارس والجامعات الإسلامية لم تكن جميعاً علوماً دينية، ولكن المبدأ السائد كان هو البدء بهذه العلوم الدينية وإتقانها قبل التخصص في غيرها، لأنها قاسم مشترك يحتاج إليها كل طالب كيفما كان التخصص الذي سيختاره فيما بعد؛ يقول عمر بن عتبة لمعلم ولده: ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحُك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت، علمهم كتاب الله، ولا تُمِلّهم فيه فيتركوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، وروّهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يُحكموه، فإن ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم، وعلمهم سنن الحكماء وجنبهم محادثة النساء، ولا تتكل على عذر مني فقد اتكلتُ على كفاية منك[2].

---

(1) المقدمة، ص٣٩٧.

(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ١ ص٣٦٣، نقلاً عن: أحمد شلبي: مرجع سابق ص٦٤.

◆ **المثال الخامس:** هو ارتباط العلم بالمسجد، وما يرمز إليه المسجد من علاقة بين العلم والعمل، والإيمان والطاعة، ورغم أن الكتاتيب والمدارس قد أنشئت فيما بعد مستقلة عن المساجد، ولكن المسجد بقي محور الدراسة، فكانت المدارس ملحقة به، وإذا كانت كبيرة كانت تضم المسجد ضمن مرافقها، وكان جزءٌ من وقت العالِم وطلابه يمضى في المسجد.

◆ **المثال السادس:** هو الرحلة في طلب العلم [1]، فقد كانت الرحلة بدوافعها وآدابها تأكيداً للعلاقة بين العلم والخلق، وذلك لأن الطلاب لم يكونوا يَقنعون بأخذ العلم من الكتب والصحف، فكانوا يرحلون لملاقاة الشيوخ، حتى يأخذوا عنهم العلم والخلق، ويستفيدوا منهم العلوم النظرية بالقراءة عليهم، والأخلاق العملية بالاحتكاك بهم ومجالستهم والاستماع إلى نصائحهم وتوجيهاتهم، كما كان العلماء يدركون هذه المهمة المزدوجة، ولم يكونوا يرون أنفسهم حملة أسفار وعلوم فقط.

هذه أمثلة لقوة العلاقة التي كانت تصل بين العلم والخلق في الفكر التربوي للمسلمين.

وبما أن طرفي العلاقة هما الأستاذ والتلميذ؛ سنأخذ كلاً منهما نموذجاً نرى من خلاله كم كان حجم هذه العلاقة بارزاً عند علماء المسلمين.

---

(1) انظر: (صفحات من صبر العلماء على العلم والتحصيل) للشيخ عبد الفتاح أبو غدة..

الأستاذ:

١ - النية التي تقف وراء طلب العلم والاشتغال بالتدريس: لقد كثر التأكيد على الإخلاص لله (تعالى) عند تحصيل العلم وتبليغه حتى لا يفقد الأخلاق التي تكون معه ـ ومنها: العزة، والاستعلاء بالإيمان، وقول الحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ وحتى يكون طلب العلم لله وتبليغه لله: لابد أن يتخلق العالم بالزهد والقناعة والأخذ من الدنيا بقدر الحاجة، فالعالم إذا استولت عليه الأفكار المادية انعكس ذلك على عطائه العلمي، وانصرف عقله إلى التملك والاستهلاك، وصار اشتغاله بالعلم حرفة جافة هدفها الأجرة التي يحصل عليها آخر الشهر، ولم يكن المقصود عندهم بالإخلاص لله عند تحصيل العلم وعند التصدر لتدريسه ألا يأخذ شيئاً يستعين به على الدراسة أثناء الطلب أو يأخذ كفايته وكفاية عياله أثناء التدريس، بل كانت المنح وكانت الأجور، ولكنها لم تكن هي الدافع الأول وراء الحركة العلمية، ولم تكن هي سبب تلك التضحيات التي بذلها الطلاب في دراستهم وذلك الإخلاص الذي عرف به الشيوخ في عملهم.

٢ - الأخلاق العامة التي يمشي بها الأستاذ بين الناس: يقول بدر الدين بن جماعة: أن يحافظ على القيام بشعائر الإسلام وظواهر الأحكام: كإقامة الصلاة في المساجد، وإفشاء السلام للخواص والعوام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى بسبب ذلك..، ولا يرضى من أفعاله الظاهرة والباطنة بالجائز منها، بل يأخذ نفسه بأحسنها وأكملها، فإن العلماء هم القدوة وإليهم المرجع في الأحكام، وهم حجة الله على العوام، وقد يراقبهم للأخذ عنهم من لا

يُنظرون، ويقتدي بهم من لا يعلمون، وإذا لم ينتفع العالم بعلمه، فغيره أبعد عن الانتفاع به.

وأن يعامل الناس بمكارم الأخلاق من: طلاقة الوجه، وإفشاء السلام، وكظم الغيظ، وكف الأذى عن الناس واحتماله منهم..[1].

٣ - **الأخلاق الخاصة بمعاملة الطلاب والتلاميذ:** يقول الغزالي عن هذه المعاملة: ثم على المعلم أن يشفق على المتعلمين، وأن يجريهم مجرى بنيه، وألا يدع من نصح المتعلم شيئاً، وأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها، ثم ينبهه أن الغرض من طلبه العلم الثقافة والقرب من الله ـ دون الرياسـة والمباهاة والمنافسة ـ وأن يهتم بأخلاق التلاميذ اهتمامه بعقولهم، وأن يزجرهم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن، وألا يصرح بالزجر إلا عند الضرورة.

وعلى المدرس أن يربي في تلميذه ملكة الاجتهاد والنظر ـ لا مجرد التقليد والتسليم ـ حتى ينشأ مستقلاً لا نسخة من معلمه[2].

ومن الأخلاق التي تضبط هذه العلاقة إذا كان التلاميذ كثرة: العدل بينهم ! والعدل من أصول الأخلاق، وبه جاءت الشريعة الإسلامية، ولذلك نهت عن كل صور الظلم، فتعميم التعليم من العدل ـ ولكن منعه ممن لا يستحقه كبذله لمن يستحقه ـ، والمساواة بين التلاميذ عند تعليمه وعدم التفريق بينهم في ذلك من العدل، وإذا منح الأستاذ لأحد الطلاب عناية خاصة فلأجل تفوقه ونبوغه لا لماله وقرابته.

---

(1) تذكرة السامع والمتكلم بأدب الصالح والمتعلم، ص ٢٠، دار الكتب العلمية.

(2) إحياء علوم الدين، جـ٨ ص٤٦ - ٤٧.

٤ - **الأخلاق المتعلقة بالهيئة عند التدريس:** وقبل أن يلتفت علماء التربية إلى أهمية الهندام في العمل التربوي ذكره علماؤنا ضمن أخلاق العالم عند التدريس؛ يقول ابن جماعة: إذا عزم العالم على مجلس التدريس تطهر من الحدث والخبث، وتنظف وتطيب، ولبس من أحسن ثيابه اللائقة به بين أهل زمانه، قاصداً بذلك تعظيم العلم وتبجيل الشريعة[1].

ونلاحظ في هذا النص المرونة في أمر اللباس تبعاً لاختلاف العصور والبلدان، لكن الهيبة والنظافة والجمال تبقى مميزات ثلاث لأنواع اللباس التي لبسها العلماء في مجالسهم التعليمية.

ولا يخفى أن أنظار التلاميذ تتجه إلى الأستاذ ساعة أو أكثر، فيجب أن تقع أنظارهم على شيء مستحسن، فإن ذلك أيضاً من الخلق الذي يأخذونه عنه.

وأما هيئة التدريس: فقد عددوا لها أخلاقاً، منها: السكينة، والوقار، والتواضع، والافتتاح بالحمد لله والختم بذكره، وتفويض العلم له - بأن يقول: هذا، والله أعلم - .

وأما الكلام الذي يتكلم به أثناء الدرس: فقالوا: عليه أن ينزه لسانه عن كثرة المزاح والضحك - فإن من مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عُرف به -، وأن يتجنب الكلام الفاحش، فإن اضطر لاستعمال كلمة يُسْتَحْيى منها ففي الكناية ما يغني عن التصريح - إلا أن يكون التصريح لازماً للتوضيح - .

ومن الأخلاق العلمية التي سبق علماؤنا إلى التأكيد عليها: الالتزام بموضوع الدرس، واستيفاؤه شرحاً، وقد اتخذوا موقفاً وسطاً بين من لا يقبل

---

(1) المرجع السابق، ص ٣٠.

أي استطراد وبين من لا يتقيد بموضوع أو مقـرر؛ يقول ابن جماعة: وكان بعض العلماء والزهاد يختم الدروس بدرس رقائق يفيد به الحاضرين تطهير الباطن، ونحو ذلك من: عظة، ورقة، وزهد، وصبر[1].

ومعنى هذا: أن الأستاذ إذا استوفى الدرس حقه لا بأس أن يفيد الطلاب بفوائد أخرى يرى أن غيره لا يفيدهم بها خصوصاً في هذا المجال الأخلاقي، ويزيد ابن جماعة شرطاً آخر فيقول: فإن كان في مدرسة ولواقفها في الدروس شرط اتبعه، ولا يُخل بما هو أهم ما بنيت له تلك البناية، ووقفت من أجله وهذا بتعبيرنا المعاصر هو احترام المقررات العامة للمؤسسة.

- **أخلاق السؤال والإجابة:** وكلام علمائنا في هذه النقطة يدور حول الرفق والتلطف: فإذا فرغ الشيخ من شرح درس، فلا بأس أن يطرح مسائل تتعلق به على الطلبة؛ يمتحن بها فهمهم وضبطهم لما شرح لهم، فمن ظهر استحكام فهمه له بتكرار الإجابة في جوابه شكره، ومن لم يفهمه تلطف له في إعادته له[2].

هذا الخلق هو الذي يحبب للطلاب المراجعة؛ لأنه يسألهم ويمتحن استيعابهم برفق ودون إحراج، وإذا سألوه أجاب بما يعلم، وقال فيما لا يعلم: لا أعلم، بل إن كلام علمائنا عن الرفق يمتد إلى العقوبة الحسية والمعنوية التي قد يلجأ إليها الأستاذ لتنفير الطلاب من التهاون والتقصير.

---

(1) نفس المرجع، ص ٣٧.

(2) المرجع السابق، ص٥٣.

والملاحظ أن علماءنا كانوا يفضلون التعزيز الإيجابي على التعزيز السلبي[1] قبل أن تقول به المدارس المعاصرة؛ فهم يفضلون الثناء على الطالب المجد بين أقرانه ليكون لهم قدوة، على معاقبة المقصر ليكون لهم عبرة، وإذا أُلْجِئوا إلى العقوبة يجعلونها آخر الدواء، ولذلك ذكروا خمس مراتب للتعزيز السلبي:

الأولى: عفو الأستاذ إذا كان الخطأ أول مرة.

الثانية: النصح.

الثالثة: العقاب الخفيف.

الرابعة: العقاب الشديد.

الخامسة: العقوبة البدنية من غير شدة بعيداً عن التشفي والانتقام.

٦ - **الأخلاق المتعلقة بالموضوع المدروس:** على العالم أن يحفظ درسه من الموضوعات التي تخدش الحياء، وتشجع على المجون والخلاعة؛ ولذلك كانت مدارس المسلمين خالية من دراسة الأدب المكشوف والفن الهابط، وكانت موضوعات الدراسة نظيفة، لأنها منتقاة، وهذا ما يسمى اليوم بتطهير المعلومات، وهو إحدى المهام الثلاثة للمدرسة، أما الثانية: فهي تنظيم هذه المعلومات، والثالثة: تبسيطها.

---

(1) مصطلح التعزيز: مصطلح نفسي تربوي يعني التدعيم، وقد يكون إيجابياً بتشجيع الفرد على الاستجابة الصائبة، وقد يكون سلبياً بتنفيره من الاستجابة الخاطئة.

التلميذ:

١ - **يعتبر علماؤنا أن حسن الخلق أساس النبوغ في العلم، ولذلك:** فإنهم عندما يلحون على ربط العلم بالأخلاق لا يقصدون آثارها في حياة الطالب بعد الدراسة فقط، بل يقصدون آثارها في حياته أثناء الدراسة نفسها، وفي المجال العلمي الذي هو بصدده، ورغم أن العلاقة بين جودة التحصيل وقوة الذاكرة وبين الاستقامة على الدين والتمسك بمكارم الأخلاق: علاقة خفية، فإن العلماء والمربين المسلمين تنبهوا إليها؛ يقول أبو حامد الغزالي: على الطالب أن يكون طاهر النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الصفات، فطهارة النفس وحسن الأخلاق أساس النبوغ في العلم، وربما حصل سيئ الأخلاق على العلم، غير أنه لن ينتفع به ولن ينفع به، فكأنه لم يحصله [1].

٢ - **وبعد أن أكدوا على علاقة الأخلاق بحسن الاستفادة والانتفاع بالعلم،** جعلوا طلب العلم نفسه خُلقاً، وتكلموا عن الهمة العالية وعن الجد في الطلب حتى يصير العلم هواية وسلوة، وعندما يصير كذلك يصعب التحول عنه إلى غيره.

٣ - **ويعينه على بلوغ هذه المرتبة خلق آخر هو التواضع،** فمهما بلغ علمه لا يغتر به ولا يخرجه إلى ساحة الإعجاب بالنفس، فلا زال المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل.

---

(1) الإحياء، جـ١ ص٤٠.

■ - **كما يعينه أيضاً انشغاله عن عيوب الناس،** وانصرافه إلى عيب نفسه وما تعانيه من نقص في العلم وتقصير في العمل، وإذا ترك الناس وأقبل على نفسه يُكملها بالعلم والخلق تعود على استغلال الوقت وحسن استثماره .

■ - **وبما أن الطالب في السابق كان هو الذي يختار شيوخه:** كثرت الوصية باختيار أهل العلم والورع، فإذا اختار الأعلم والأتقى فليلازمه بالصبر والتواضع والاحترام .

٦ - **أما علاقة التلميذ بالتلميذ:** فكانت تحكمها أخلاق الأخوة في الإسلام من المحبة في الباطن والتعاون في الظاهر، يصاحب المجد التقي ويجتنب الكسلان والشرير، وإذا ابتلي برفيق سوء تلطف حتى يتخلص منه .

أقوال الشعراء في طلب العلم

الإمام الشافعي	
العلم والتقوى	
اصبر عَلى مُرِّ الجَفَا مِن مُعَلِّمٍ	فَإِن رُسُوب العِلمِ في نَفَـراتِهِ
ومن لم يذق مُر العَلُّمِ ساعةً	تجرع ذُل الجهلِ طُول حياتِهِ
ومن فاتهُ التعلِيمُ وقت شبابهِ	فكبِّر عليه أربعاً لِوفاتِهِ
وذاتُ الفتى والله بالعِلمِ والتُّقى	إذا لم يكونا لا اعتِبارَ لِذاتِهِ
اطلب العلم	
مـن طَلَبَ العِلمَ لِلمَـعـادِ	فـازَ بِفَضـلٍ مِنَ الرشـادِ
فنـالَ حُسنـاً لطالِبيـهِ	بِفَضـلِ نيلٍ مِنَ الـعِبـادِ
العلم نور	
شَكَـوتُ إلى وَكيعٍ سُوءَ حِفظي	فَـأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نُور	ونور الله لايهدى لعاصي

بالعلم تبنى الأمجاد	
رأيت العلم صاحبه كريمٌ	ولو ولدته آباءُ لِئامُ
وليس يزال يرفعه إلى أن	يُعظم أمره القوم الكرامُ
ويتبعونه في كل حالٍ	كراعي الضأن تتبعه السوام
فلولا العلم ماسعدت رجال	ولاعُرِف الحلال ولا الحرامُ

يقول الشاعر	
من قاس بالعلم الثراء فإنه	في حكمه أعمى البصيرة كاذبُ

ويقول آخر	
العلم مبلغ قوم ذروة الشرف	وصاحب العلم محفوظ من التلف
يا صاحب العلم مهلاً لاتد نسه	بالموبقات فما للعلم من خلف
العلم يرفع بيتا لاعماد له	والجهل يهدم بيت العز والشرف

ويقول الاخر	
علمي معي حيثما يممت ينفعني	قلبي وعاءٌ له لابطن صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي	أو كنت في السوق كان العلم في السوق

لذة العلم

الإنسان متقلِّبٌ في اللذات بين لذتين :

الأولى : حسيَّة .

الثانية : عقلية .

و أسماهما العقلية ، و غايتها العلم .

فالعلم لذة من اللذائذ العقليَّة ، و هو ذو لذة رفيعة نفيسة .

لذة العلم لها مجالان :

الأول : لذة حال تحصيله و طلبه .

و هذه اللذة أنواع :

الأول : لذة باعتبار المقصد (أي النية) ؛ و الناس في نية الطلب أقسام :

أحدها : أن يكون طلبه لله (فهذا مأجور) .

ثانيها : أن يكون طلبه لغير الله (فهذا يأثم).

ثالثها : أن يكون طلبه لا لله و لا لغير الله (فهذا لا يثاب و لا يعاقب) .

و **الأخيرة هي :** حال أكثر النفوس ، فإن الله خلق فيها محبة للعلم و المعرفة و إدراك الحقائق ، و قد يخلق فيها محبة للصدق و العدل و الوفاء بالعهد ، و يخلق فيها محبة للإحسان و الرحمة بالناس ، فهو يفعل هذه الأمور لا ليتقرَّب بها إلى أحد من الخلق ، و لا ليطلب مدحَ أحد و لا خوفاً من ذمه _

و المقصود _ هنا _ أن محبة هذه الأمور الحسنة ليس مذموماً بل محموداً ، و مَنْ فعل هذه الأمور لأجل هذه المحبة لم يكن مذموماً و لا معاقباً و لا يقال إن هذا عمله لغير الله ، فيكون بمنزلة المرائي و المشرك ، فذاك هو الشرك المذموم ، و أما مَنْ

فعلها لمجرَّد المحبَّة الفطرية فليس بمشرك و لا هو _ أيضاً _ متقرِّباً بها إلى الله حتى يستحق عليها ثواب مَنْ عملَ لله و عبده [1] .

الثاني : لذة باعتبار التحصيل (أي ما حصَّلَه من العلم) .

الثالث : لذة باعتبار القَدْر (أي ما ناله الطالب من قَدْرٍ و مكانة بسبب الطلب) .

و كلها لا تخلو من مراعاة .

الثاني : لذة بعد إدراك قَدْرٍ منه ، و حال العمل به .

فهذان مجالان للعلم يَتَحَصَّل للطالب فيهما لذته و حلاوته .

و المراد باللذة العلمية : استلذاذ مسائل العلم و تذوق حلاوته ، و تحمُّل المشاق في تحصيله ، و إيثاره على أعراض الدنيا .

و ضابطها : ألاَّ تكون مُشْغِلَةً عن الأمور الأهم في العلم و طلبه ، و عن أصول الفنون بفروعها .

و لِيُعْلَم : أن لذة العلم مُقَيَّدةٌ بأمرين :

الأول : أن يكون بقصد و تؤدة .

الثاني : أن يكون بتوسُّطٍ .

إن غالب طلاب العلم حين يَحْلُو له العلم و يتذوَّق لذته ينجرف مع تلك اللذة فيقع في إهمال مهامٍ كبار ، و هذا خلل جَلَلٌ .

فلابد من مراعاة هذين القَيْدَيْن ، و الحذر من رونقة العلم و لذته المُفْضِيَة إلى ترك أمور أكبر .

---

[1] انظـر : مسألة فيما كان للعبد محبة لما هو خير و حق و محمود في نفسه ، لشيخ الإسلام (٤٤٥ – ٤٥٠) ضمن مجموع (دراسات عربية و إسلامية مهداة إلى أديب العربية محمود شاكر].

و لهذه اللذة صور :

الأولى : اشتغال جملة من الطلاب بفنون ثانوية ، و ترك الفنون الأصيلة .

و ليس مرادي ذم الاشتغال بالفنون الكمالية ، و إنما مرادي : أن يشتغل الطالب بالعلوم الآلية و يعرض الإعراض _ الكلي أو الجزئي _ عن علوم الغاية .

الثانية : الاشتغال بمسائل فنٍّ فرعية جزئية دقيقة مع إهمال أصول ذلك الفن و أُسس مسائله .

الثالثة : الصعود إلى العلوم الكبار لمن لم يتقن بدائيات العلم .

و لذة العلم مُنَالَةٌ بأمور :

الأول : الإخلاص لله في الطلب .

الثاني : سلوك جادة العلم المطروقة من التدرج من : الأصغر فالأوسط فالأكبر .

الثالث : إعمال الذهن و العقل في العلم تفهُّماً و استنباطاً .

فائدة :

طالب العلم المتلذذ بفهمه لا يزال يطلب ما يزيد التذاذه ، فكلما طَلَبَ ازداد لذةً فهو يطلب نهاية اللذة و لا نهاية لها [1] .

إضاءة :

(مَنْ لم يحتمل ألم التعلُّم لَمْ يَذُقْ لذة العلم) [2] .

---

(1)[انظر : فيض القدير (١/١٦٣)] .

(2)[السِّيَر (٢٢/٣٢٢)] .

النبي صلى الله عليه وسلم معلماً

أولاً: إطلاق اسم المعلم على نبينا صلى الله عليه وسلم:

لا ريب أن مهمة النبي والرسول إنما هي تعليم أمته ودلالتهم على الخير قال تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم ءاياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ [الجمعة: ٢].

﴿كما أرسلنا فيكم رسول منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ [البقرة: ١٥١].

وخرج يوماً على أصحابه فوجدهم يقرؤون القرآن ويتعلمون فكان مما قال لهم: ((وإنما بعثت معلما))[1]. وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً وميسراً))[2].

يقول معاوية بن الحكم: ((ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه))[3]، وفي رواية أبي داود: ((فما رأيت معلماً قط أرفق من رسول الله صلى الله عليه وسلم))[4].

---

(1) رواه ابن ماجة برقم ٢٢٩٨ في حديث عبد الله بن عمرو، وفي سنده ضعف.

(2) رواه مسلم برقم ١٤٧٨ من حديث جابر.

(3) رواه برقم ٥٣٧.

(4) رواه أبو داود برقم ٩٣١.

ثانياً: النبي صلى الله عليه وسلم أعظم معلم:

ترى الدراسات التربوية أن أفضل طرق قياس مستوى المعلم تقييم طلابه، ولو اعتمدنا هذه الدراسات لتوصلنا إلى أنه صلى الله عليه وسلم أعظم مربٍ ومعلم، فعن طلابه وتلاميذه قال الله ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ [آل عمران: ١١٠].

ثالثاً: شمائل النبي التي يحتاجها كل معلم:

لا ريب أن شمائل النبي وأخلاقه العظيمة من الكثرة بمكان، ونعرض هنا للشمائل التي يحتاجها كل معلم يود أن يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في أداء مهمته التعليمية والتربوية.

أ) الحرص:

﴿لقد جاءكم رسول أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة: ١٢٨].

((يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي)) [1].

((إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه)) [2].

---

(1) رواه مسلم برقم ١٨٢٦ من حديث أبي ذر.

(2) رواه مسلم برقم ٢٢٨٤ من حديث أبي هريرة، ومثله في البخاري برقم ٣٤٢٧.

ب) الرفق واللطف في التوجيه:

((إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله)) [1] ، وفي مسلم: ((إن الرفق لا يكون في شيء إلا شانه ولا ينزع من شيء إلا شانه)) [2].

ومن رفقه ما ذكره أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له: ((يا بنيّ)) [3].

يقول أنس خادم النبي صلى الله عليه وسلم: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن خُلقاً فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: لا والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله صلى الله عليه وسلم.

فخرجت حتى أمرّ على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله قد قبض بقفاي من ورائي.

قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: يا أُنيس أذهبت حيث أمرتك؟ قال قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله).

ومن رفقه صلى الله عليه وسلم ما ذكره عبد الله بن جعفر بن أبي طالب حيث قال: ((ثم مسح على رأسي ثلاثاً)) [4].

ومن رفقه تحببه إلى أصحابه حتى يظن كل منهم أنه الأثير عنده. يقول عمرو بن العاص: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه وحديثه

---

(1) رواه البخاري برقم ٦٩٢٧ من حديث عائشة.

(2) رواه مسلم برقم ٢٥٩٤.

(3) رواه أحمد في المسند برقم ١٢٦٤٨.

(4) رواه أحمد في المسند برقم ١٧٦٣.

على أشر القوم يتألفهم بذلك، فكان يقبل بوجهه وحديثه عليّ حتى ظننت أني خير القوم.

فقلت: يا رسول الله: أنا خير أو أبو بكر؟ قال: أبو بكر.

فقلت: يا رسول الله: أنا خير أو عمر...)) [1].

ويقول جرير بن عبد الله البجلي: (ما حجبني النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي)[2].

يقول جابر بن عبد الله: ((ما سئل رسول الله شيئاً قط فقال: لا))[3].

قال أنس: ((والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعته: لم فعلت كذا وكذا، أو لشيء تركته: هلا فعلت كذا وكذا)) [4].

وفي رواية لأحمد: ((ما قال لي فيها أف)) [5].

وفي رواية أيضاً له: ((والله ما سبني سبة قط، ولا قال لي أف)) [6].

وفي قصة معاوية بن الحكم وقد عطس أمامه رجل في صلاته فشمته معاوية وهو يصلي يقول: فحدقني القوم بأبصارهم. فقلت: واثكل أمياه مالكم تنظرون

(1) رواه الترمذي في الشمائل برقم ٢٩٥.

(2) رواه البخاري برقم ٥٧٣٩.

(3) رواه الترمذي في الشمائل برقم ٣٠٢.

(4) رواه مسلم برقم ٢٣١٠ من حديث أنس.

(5) برقم ١٦٠٩.

(6) برقم ١٢٦٢٢.

إليّ.؟ قال: فضرب القوم بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يسكتونني لكني سكت.

فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاني، بأبي هو وأمي، ما ضربني ولا كهرني ولا سبني، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه [1].

وقام أعرابي فبال في المسجد ((فتناوله الناس، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)) [2].

ج) التواضع:

مما ينبغي على المعلم أن يتواضع لطلابه، فيرعى حال ضعيفهم، وقد يخصه بمزيد بيان وشرح ووقت.

قال أبو رفاعة انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب قال، فقلت: يا رسول الله: رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه، قال: ((فأقبل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك خطبته حتى انتهى إلي، فأتي بكرسي حسبت قوائمه حديداً، قال: فقعد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته، فأتم آخرها)) [3].

---

(1) رواه النسائي برقم ١٢١٨ من حديث معاوية، وأبو داود برقم ٩٣٠.

(2) رواه البخاري برقم ٢٢٠ ونحوه في مسلم برقم ٢٨٤ في رواية أبي هريرة.

(3) رواه مسلم برقم ٨٧٦ من حديث أبي رفاعة.

وعن أنس بن مالك: ((أن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة، فقال: يا أم فلان انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك))، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها.

وقد يرضى صلى الله عليه وسلم من ضعيفهم ما لا يرضى من قويهم. لما وفد عليه ضمام بن ثعلبة دعاه وذكر له فرائض الإسلام فقال ضمام: "والله لا أزيد على هذا ولا أنقص" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أفلح إن صدق))[1].

لكنه صلى الله عليه وسلم لم يرض من آخرين فرائض الإسلام فقط، بل أضاف إليها غيرها مما قد يدخل في السنن والمندوبات يقول عبادة بن الصامت: (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)[2].

د - الإجابة عما يترجح عنده جهل طلابه به، وذلك بذلاً منه للعلم عند أهله، وقد يجيب عما يراه يجيش في صدورهم من المسائل وإن لم ينطقوا به.

"سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ من ماء البحر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هو الطهور ماؤه الحل ميتته))[3].

---

(1) رواه البخاري برقم ٤٦ من حديث طلحة بن عبد الله.

(2) رواه البخاري برقم ٦٧٧٤ من حديث عبادة بن الصامت.

(3) رواه البخاري برقم ٦٩ من حديث أبي هريرة.

فقولها: ((الحل ميتته)) زيادة علم أفاد بها رسول الله السائل عن حكم الوضوء من ماء البحر، ومن جهل هذه كان بتلك أجهل.

أن رجلاً سأله ما يلبس المحرم؟ فقال: ((لا يلبس القميص ولا العمامة ولا السراويل ولا ثوباً مسّه الورس أو الزعفران، فإن لم يجد النعلين فليلبس الخفين، وليقطعهما حتى يكونا تحت الكعبين)) [1].

أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أخبرنا عن سبأ ما هو، أرض أم امرأة؟ فقال: ((ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن ستة، وتشاءم أربعة)) [2].

وقال يوماً لأصحابه: ((يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته)) [3].

و - التريث في الإجابة عن السؤال، وترك القول بلا علم.

أ - ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كان عنه مسؤولاً﴾.[الإسراء ٣٦]

ب - سأل جابر بن عبد الله النبي فقال: ((يا رسول الله كيف أصنع في مالي؟ كيف أقضي في مالي؟ فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية المواريث)) [4].

---

(1) رواه البخاري برقم ١٣٤ من حديث ابن عمر، ومسلم برقم ١١٧٧.

(2) رواه أبو داود برقم ٣٩٨٨.

(3) رواه البخاري برقم ٣٢٧٦ من حديث أبي هريرة، ومسلم برقم ١٣٤.

(4) رواه البخاري برقم ٦٧٢٣ من حديث جابر، ونحوه في مسلم برقم ١٦١٦.

ج - جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أي البلدان شر؟ فقال: ((لا أدري حتى أسأل ربي، فلما أتاه جبريل عليه السلام قال: يا جبريل أي البلدان شر؟...)) [1].

رابعاً: كيفية التعامل مع المخطئين والمقصرين:

ولما كان القصور والخطأ والجهل أمراً معهوداً في الأبناء والطلاب فإننا نتساءل كيف تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع أمثال هذه الحالات، وفي هذه الأمثلة نقرأ الإجابة وتستلهم المنهج.

تقول عائشة رضي الله عنه: ((ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله)) [2].

لما تخلف كعب بن مالك عن الجهاد في تبوك، ورجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوه جاءه كعب فيقول: "فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب[3].

بينما هو في المسجد دخل أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه مه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تزرموه، دعوه، فتركوه حتى بال.

(1) رواه أحمد في المسند برقم ١٦٣٠٢ من حديث جبير بن مطعم.

(2) رواه مسلم برقم ٢٣٢٨ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(3) رواه البخاري برقم ٤١٥٦ من حديث كعب بن مالك.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن..)) [1].

وفي رواية للترمذي أنه قال لأصحابه: ((إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين)) [2].

قصة الشاب الذي جاء يستأذن رسول الله بالزنا فزجره الصحابة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ادنه فدنا منه قريباً، قال: فجلس قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونهم لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟... اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه)) [3].

هجر رسول الله كعب بن مالك في تخلفه عن تبوك، وأمر أصحابه أن لا يكلموه [4].

كان عنده رجل به أثر صفرة قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يواجه أحداً بشيء يكرهه، فلما قام قال للقوم: ((لو قلتم له: يدع هذه الصفرة)) [5].

---

(1) رواه مسلم برقم ٢٨٥ من حديث أنس.

(2) رواه الترمذي برقم ١٤٨.

(3) رواه أحمد برقم ٢١٧٠٨ من حديث أبي أمامة.

(4) ذكره البخاري في صحيحه برقم ٤١٥٦ من حديث كعب بن مالك.

(5) رواه الترمذي في الشمائل برقم ٢٩٧ من حديث أنس، وفي إسناده ضعف.

سبق حديثه مع المتكلم في الصلاة، وأنس المتأخر عن قضاء حاجته. وأقر رسول الله التأديب بالضرب كما في قصة أبي بكر مع غلامه وقد أضاع بعيره قال: فطفق يضربه، ورسول الله يتبسم ويقول: ((انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع))[1].

خامساً: سبق النبي صلى الله عليه وسلم إلى الوسائل التي يتنادى إليها التربويون اليوم ومن ذلك.

ضربه صلى الله عليه وسلم الأمثال:

وهو كثير، منه تشبيه المؤمن بالنخلة[2]. والمجتمع بالسفينة[3]. والصاحب السيء بنافخ الكير[4].

ب - تحفيز الأذهان بالسؤال:

وهو كثير، منه قوله: ((أتدرون ما المفلس...))[5]. وقوله: ((أتدرون ما الغيبة...))[6]. وقوله: ((أتدرون أي يوم هذا..))[7].

---

(1) رواه أبو داود برقم ١٨١٨ من حديث أسماء.

(2) في حديث البخاري برقم ٦١ من حديث ابن عمر.

(3) في حديث البخاري برقم ٢٥٤٠ من حديث النعمان بن بشير.

(4) في حديث البخاري برقم ٥٢١٤ من حديث أبي موسى.

(5) رواه مسلم برقم ٢٥٨١ من حديث أبي هريرة.

(6) رواه برقم ٢٥٨٩ من حديث أبي هريرة.

(7) رواه البخاري برقم ١٦٥٤ من حديث أبي بكرة.

ج - تحفيز الأذهان بذكر معلومة أو خبر لم يذكر مقدمه أو أوله ، وله أمثلة كثر، منها((قال: رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف. قيل من يا رسول الله؟ قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة))[1].

ومرّ بجنازة فأُثني عليها خيراً فقال نبي الله: ((وجبت وجبت، ومر بجنازة فأثني عليها شراً فقال نبي الله: وجبت وجبت، قال عمر: فدىً لك أبي وأمي، مر بجنازة. .)) [2].

وذات مرة قال صلى الله عليه وسلم: ((أُحضروا المنبر، فحضرنا، فلما ارتقى درجة قال: آمين، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: آمين، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال: آمين. فلما نزل قلنا يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه..))[3].

د - قلة الكلام وإعادته ليتمكن في قلب السامع.

تقول عائشة رضي الله عنه: (إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحدث الحديث لو شاء العد أن يحصيه أحصاه) [4].

ويقول أنس رضي الله عنه: (كان إذا سلم سلم ثلاثاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً) [5]. وفي رواية أخرى للبخاري زاد (حتى تفهم منه) [6].

---

(1) رواه مسلم في صحيحه برقم ٣٥٥١ من حديث أبي هريرة.

(2) رواه مسلم برقم ٩٤٩ من حديث أنس.

(3) رواه الحاكم من حديث كعب بن عجرة.

(4) رواه أبو داود برقم ٣٦٥٤ من حديث عائشة.

(5)رواه البخاري برقم ٩٤.

(6) رواه البخاري برقم ٩٥.

العلم علمان

ما أجملها من كلمةٍ قالها الإمام الزاهد الحسن البصري رحمه الله : " العلم علمان : علم باللسان ، وعلم بالقلب ، فعلم القلب : هو العلم النافع ، وعلم اللسان : هو حجة الله على ابن آدم ".[1]

فالعلم النافع إذاً : هو ما باشر القلوبَ فأوجب لها السكينةَ والخشيةَ ، الإخباتَ لله ، التواضعَ الانكسارَ له ، وإذا لم يباشر القلوبَ ذلك العلمُ ، إنما كان على اللسان : فهو حجةَ الله على ابن آدم ، تقوم على صاحبه وغيره كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : " إنَّ أقواماً يقرأون القرآنَ لا يجاوز تراقيَهم ، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع صاحبه".[2]

العلم أدب الله.. :

قال ابن شهابٍ رحمه الله : " إن هذا العلمَ أدبُ الله الذي أدَّب به نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأدَّب النبي صلى الله عليه وسلم به أمتَه ، أمانة الله إلى رسوله ، ليؤديه على ما أُدّي إليه ، فمن سمع علماً فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين الله عز وجل".[3]

---

(1) الذل الانكسار ضمن وسائل ابن رجب ٢٩٦/١.

(2) الذل الانكسار ضمن وسائل ابن رجب ٢٩٦/١.

(3) الجامع للخطيب ١٢٠/١.

من أعظم ثمار العلم :

قال الإمام الغزَّالي رحمه الله : " العلم النافع يثمر خشيةَ الله تعالى ومهابتَه قال الله تعالى : ﴿ إنما يخشى اللهَ من عبادِه العلماءُ ﴾ . ، وذلك أنَّ من لم يعرفْه حق معرفته ، لم يهبْه حق مهابته ، ولم يعظمه حق تعظيمه وحرمته ، فصار العلم يثمر الطاعةَ كلَّها ، ويحجز عن المعصيةِ كلِّها بتوفيق الله تعالى ".[1]

وقد قبّح الله قلباً لا يخشع عند ذكره ، ولا يرعوي عند أمرِه ، وتوعد ذلك القلب بالويلِ فقال : ﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴾[2].

و لن تجد _ يا رعاكِ الله_ أرقَّ من قلوبِ العلماءِ الصادقين المخلصين ؛ اطمأنت قلوبهم لذكره ، وأنست نفوسُهم به ، فسبحان من أذاقهم لذة قبل اللذة ! وسبحان من أولجهم جنة قبل الجنة !.

وحتى تسعد أبدا :

عليك – رعاكِ الله – بتحصيل العلم النافع أولاً ، ثم اتبعه بالعملِ فهو الثَّمرة لتلك الشجرةِ ، يقول أبو حامد الغزَّالي _رحمه الله _ : " يا طالب الخلاصِ والعبادةِ عليك أولاً – وفقك الله – بالعلم فإنه القطبُ وعليه المدارُ ، واعلم أن العلم والعبادة جوهران ، لأجلهما كان كلُ ما ترى وتسمع : من تصنيف المصنفين وتعليم المعلمين ، ووعظ الواعظين .... " ثم قال : " العلم بمنزلة الشجرةِ ، العبادةُ

---

(1)منهاج العابدين (٧٤).

(2) سورة الزمر .

بمنزلة ثمرةٍ من ثمراتها ، فالشرف للشجرةِ إذ هي الأصلُ ، ولكن الانتفاعَ إنما يحصل بثمرتها [1]" .

وعند الطبراني في الأوسط[2] : من وصايا الخضر لموسى – عليهما السلام – : " تعلَّم ما تعلمت لتعملَ به ، ولا تعلمه للتحدث به ، ، فيكون عليك بوره ، ويكون لغيرك نوره " .

ومن لم يعمل بعلمه فهو من أجهل الناس وإنْ علم .

يقول سفيان _رحمه الله_ : "إن أنا عملت بما أعلم ؛ فأنا أعلم الناس ، وإن لم أعمل بما أعلم ؛ فليس في الدنيا أحدٌ أجهلَ مني [3]" .

الله إنا نعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا تسمع ، نعوذ بك من هؤلاء الأربع .

---

(1)منهاج العابدين (٦٨).

(2) معجم الطبراني الأوسط .

(3)الجامع الخطيب ١/١٣٤

مسئولية طالب العلم

وهناك مسألة مهمة ، وهي المسئولية الملقاة على طالب العلم من جهة البلاغ والتعليم للناس ، فإن العلماء هم خلفاء الرسل ، وهم ورثتهم ، ولا يخفى مرتبة الرسل ، وأنهم هم القادة. وهم الهداة للأمة ، وهم أسباب سعادتها ونجاتها ، فالعلماء حلوا محلهم ، ونزلوا منزلتهم في البلاغ والتعليم ؛ لأنهم ختموا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، فلم يبق إلا البيان والتبليغ لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، والدعوة إليها وبيانها ونشرها بين الناس ، وليس لذلك أهل إلا أهل العلم ، هم الذين أهّلهم الله لهذا الأمر دعاة وقادة بأقوالهم وأفعالهم وسيرتهم الظاهرة والباطنة.

فواجبهم عظيم ، والخطر عليهم عظيم ، والأمة في ذمتهم ؛ لأنها بأشد الحاجة إلى البلاغ والبيان بالطرق الممكنة.

والطرق اليوم كثيرة ، منها وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.. فلها آثارها العظيمة في إضلال الناس ، وفي هدايتهم.. وهكذا الخطب في الجمع والأعياد والمناسبات والندوات ، والاحتفالات لأي سبب ، لها أثرها أيضا. والنشرات المستقلة والمؤلفات والرسائل لها أثرها العظيم.

فالطرق بحمد الله اليوم ميسرة وكثيرة ، وإنما المصيبة ضعف الطالب ، وقلة نشاطه ، وإعراضه وغفلته.. هذه هي المصيبة العظمى.. فالله يقول عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ فليس في الوجود من هو أحسن قولا من هؤلاء ، وعلى رأسهم الرسل الكرام والأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، ثم يليهم أهل العلم.

فكلما كثر العلم ، وكملت التقوى والخوف من الله عز وجل ، والإخلاص له سبحانه صار النفع أكثر ، وصار التبليغ عن الله وعن رسوله أكمل. وكلما ضعفت التقوى ، أو قل العلم ، أو قل الخوف من الله ، أو بُلي العبد بمشاغل الدنيا والشهوات العاجلة - قل هذا العلم وقل هذا الخير. يقول سبحانه : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾بين سبحانه أن مهمة النبي الدعوة إلى الله على بصيرة ، وأمره أن يبلغ الناس ذلك ، **قُلْ أي : قل يا أيها الرسول للناس هَذِهِ سَبِيلِي أي هذه التي أنا عليها ، هذه الشريعة وهذه الطريقة التي أنا عليها من القول والعمل هي سبيلي ، وهي منهجي وطريقي إلى الله.**

فوجب على أهل العلم أن يسيروا على الطريق الذي سلكه المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وهو الدعوة إلى الله على بصيرة. فذلك سبيله وسبيل أتباعه أيضا. فلا يكون العبد من أتباعه على الحقيقة وعلى الكمال إلا إذا سلك ذلك المسلك ، فمن دعا إلى الله على بصيرة ، وتبرأ من الشرك ، واستقام على الحق ، فهو من أتباعه عليه الصلاة والسلام ، ولهذا قال بعدها : وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ فالداعي إلى الله الصادق في الدعوة هو المتبع للرسول على بصيرة ، وعلى علم - وليس بالكذب والقول على الله بغير علم تعالى الله عما لا يليق به - مع وصفه سبحانه بصفات الكمال ، وتنزيهه عن مشابهة خلقه ، وتوحيده والإخلاص له ، والبراءة من الشرك وأهله.

والداعي إلى الله يجب أن يوحد الله ، ويستقيم على شريعته ، مع تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين ، ووصفه سبحانه بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتنزيهه عن صفات النقص والعجز ، وإثبات أسمائه

الحسنى ، وصفاته العلى الكاملة له جل وعلا التي جاء بها كتابه العظيم ، أو جاءت بها سنة رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم إثباتا يليق بجلاله وعظمته ، بلا تمثيل ، وتنزيها له سبحانه بلا تعطيل.

فيثبت العبد صفات الله وأسماءه إثباتا كاملا ، ليس فيه تمثيل ، ولا تشبيه ، وينزه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين في جميع صفاته ، تنزيها بريئا من التعطيل.

فهو يسمي الله بأسمائه الحسنى ، ويصف الله بصفاته العليا الواردة في الكتاب العظيم ، والسنة الصحيحة ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ، ولا زيادة ولا نقصان ، فهو متبع لا مبتدع ، سائر على النهج القويم ، الذي سلكه الرسل ، وسلكه أتباعهم بإحسان ، وعلى رأسهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وصحابته رضي الله عنهم من بعده ، ثم أتباعهم بإحسان ، وعلى رأسهم الأئمة المشهورون بعد الصحابة : كالإمام مالك بن أنس ، والإمام محمد بن إدريس الشافعي ، والإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، والإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، والإمام الأوزاعي ، والإمام سفيان الثوري ، والإمام إسحاق بن راهويه ، وغيرهم من أئمة العلم والهدى ، الذين ساروا على النهج القويم ، في إثبات أسماء الله وصفاته ، وتنزيه الله عن مشابهة خلقه.

ثم طالب العلم بعد ذلك حريص جدا أن لا يكتم شيئا مما علم ، حريص على بيان الحق والرد على الخصوم لدين الإسلام ، لا يتساهل ولا ينزوي ، فهو بارز في الميدان دائما حسب طاقته ، فإن ظهر خصوم للإسلام يشبهون ويطعنون - برز للرد عليهم كتابة ومشافهة وغير ذلك لا يتساهل ولا يقول هذه لها غيري ، بل يقول : أنا لها.. أنا لها.. ولو كان هناك أئمة آخرون يخشى أن تفوت المسألة ، فهو

بارز دائما لا ينزوي ، بل يبرز في الوقت المناسب لنصر الحق ، والرد على خصوم الإسلام بالكتابة وغيرها.. من طريق الإذاعة ، أو من طريق الصحافة ، أو من طريق التلفاز ، أو من أي طريق يمكنه ، وهو أيضا لا يكتم ما عنده من العلم ، بل يكتب ويخطب ، ويتكلم ويرد على أهل البدع ، وعلى غيرهم من خصوم الإسلام بما أعطاه الله من قوة ، حسب علمه وما يسَّر الله له من أنواع الاستطاعة.. قال تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾**.

فينبغي أن نقف عند هاتين الآيتين وقفة عظيمة : فربنا حذّر من كتمان العلم وتوعد على ذلك ، ولعن من فعل ذلك ، ثم بين الله أن لا سلامة من هذا الوعيد ، وهذا اللعن إلا بالتوبة والإصلاح والبيان. التوبة مما مضى من التقصير والذنوب. وإصلاح للأوضاع التي يستطيع إصلاحها من نفسه وبنفسه ، وبيان لما لديه من العلم الذي قد يقال إنه كتمه ، أو فعلا قد كتمه لحظ عاجل ، أو تأويل باطل ، ثم من الله عليه بالهدى فلا توبة إلا بهذا البيان ، ولا نجاة إلا بهذه التوبة وهي تشتمل ، على الندم على ما مضى من التقصير واقتراف الذنب وإقلاع وترك لهذا الذنب خائفا من ربه عز وجل ، حذرا من عقابه.

وشرط ثالث وهو العزم الصادق بأن لا يعود فيه ثانية ، ثم بيان مع ذلك وإصلاح ، لأنه قد يتوب ولا يعلم الناس توبته ، فإذا أظهر ذلك وبينه للناس برئت ذمته وصحت توبته ، وهنا أمر آخر يتعلق بطالب العلم أمام الله سبحانه أولا ، ثم بعد هذا أمام إخوانه وزملائه ومجتمعه ، وهو أن يتقي الله في نفسه.. فكلما علم شيئا

بادر بالعمل لا يتساهل : يعلم ويعمل. لا بد من العلم ، ولا بد من العمل ، فهو يحاسب نفسه أبدا ، ويجتهد في تطبيق أحكام الله على نفسه ، الواجب واجب ، والمستحب مستحب ، حتى يمثل العلم في أخلاقه وأعماله وسيرته ، وحلقات علمه وخطبة وأسفاره وإقامته في البر والبحر والجو ، بل في كل مكان ؛ لأن هذا الأمر يهمه ويحرص على أن يأخذ عنه إخوانه وزملاؤه وطلبته ، ليعطيهم مما لديه من العلم : من قول وعمل.. وهكذا كان نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام ، كانت دعوته كاملة في القول والعمل ، فسيرته أحسن السير ، وكلامه أطيب الكلام بعد كلام الله عز وجل ، وأخلاقه أحسن الأخلاق ، كما قال تعال : وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ وكان خلقه القرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها.. يأتمر بأوامره ، وينتهي عن نواهيه ، ويتأدب بآدابه ، ويعتبر بما فيه من الأمثال والقصص العظيمة ، ويدعو الناس إلى ذلك.

وأهل العلم عليهم أن يتأسوا به عليه الصلاة والسلام في هذا الخلق العظيم ، وأن يصدقوا الله في أقوالهم وأعمالهم ، وأن يبلغوا عن الله أمره ونهيه ، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، حسب الطاقة وأن يبذلوا المستطاع والنصائح لولاة الأمور بالتوجيه والإرشاد والتنبيه.. ولأهليهم ولجيرانهم ولسائر مجتمعهم ، وللناس جميعا بكل وسيلة حسب الطاقة. لا يجوز التساهل في هذه الأمور ولا سيما في عصرنا هذا لقلة العلماء وانتشار الشرور وكثرة الرذائل والمنكرات في أرجاء الدنيا في الدول الإسلامية وغيرها.

وكل ذي بصيرة يعلم ما ينشر في هذا العصر من الشرور العظيمة ، في الإذاعات والصحافة ، والتلفاز وفي النشرات الأخرى. وفي المؤلفات الداعية إلى النار.

وهذا الجيش المتنوع الذي يدعو إلى طرق النار ، يحتاج إلى جيش مثله ، وقوة مثله. بل وأكثر منه. هذه الجيوش التي يسوقها أعداء الإسلام إلى المسلمين ، وهذه الوسائل الخطيرة المتنوعة الكثيرة ، كلها يسوقها وينشرها أعداء الإسلام إلى المسلمين ، وإلى غير المسلمين ، لإهلاكهم وقيادتهم إلى النار. وأن يكونوا معهم في أخلاقهم الخبيثة ، وسيرتهم الذميمة ، وأن يكونوا معهم في النار ، لأن قائدهم يريد هذا كما قال الله سبحانه : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

فلا يليق بطالب العلم أن ينزوي ويقول : حسبي نفسي ، لا ، فإن عليه واجبات.. حسبه نفسه من جهة عمله أن يعمل.. وعليه واجبات من جهة البلاغ والبيان والدعوة فربنا يقول سبحانه : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ويقول سبحانه : ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾فالله سبحانه يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة ، وأمره له أمر لنا جميعا ، ليس المقصود له وحده عليه الصلاة والسلام.. فإذا وجه له الأمر فليس له وحده بل هو له ولنا ولأهل العلم جميعا إلا ما خصه الدليل به.

فعليك يا عبد الله أن تبتعد عن الخمول والانزواء وأن تبلغ أمر الله إلى عباد الله ، وعليك أيضا أن تنصح من استطعت نصيحته في كل مكان : أمير القرية ، وعالم القرية ، وقاضي القرية ، وعريف القرية ، ومن له شأن في القرية ، وفي المدينة وفي القبيلة وفي كل مكان تتصل به اتصالا حسنا ، وتناصحه وتوجهه إلى الخير وتتعاون معه على البر والتقوى بالأساليب الحسنة ، بالعظة والتذكير بالكلام الطيب ، بالرفق لا بالعنف.

وهكذا مع الإمام الأعظم في الدولة ، ومع الوزراء في مسئولياتهم ، ومع القضاة ومع الدعاة ومع إخوانك في الله جميعا تتعاون معهم.

هكذا يكون طالب العلم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : [الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم] أخرجه مسلم في صحيحه. وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : [بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم].

وقال عليه الصلاة والسلام : [نضَّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ثم أدَّاها كما سمعها فرب مبلِّغ أوعى من سامع]وفي لفظ : [رب حامل فقه ليس بفقيه]وفي لفظ : [ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه]وقال في إحدى خطبه عليه الصلاة والسلام : [فليبلِّغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع]والناس بخير ما تعاونوا على البر والتقوى ، مع ملوكهم وأمرائهم ، ومع قضاتهم ومع الدعاة إلى الله ، وجميع المسلمين ، لكن مع مراعاة الأساليب الحسنة ، والرفق والحكمة ، وقد جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [من يحرم الرفق يحرم الخير كله]رواه في الصحيح عن جرير بن عبد الله ، وعن عائشة رضي الله عنهما.

وفي رواية له عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا : [إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه]ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الصحيح : [إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه].

ويكفي في هذا قول الله سبحانه : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾وقول الله تبارك وتعالى : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾وفي قصة موسى وهارون عندما بعثهما الله إلى فرعون يقول الله سبحانه لهما : ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾.

وأسأل الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، أن يوفقنا وإياكم وجميع المسلمين إلى ما يرضيه ، وأن يسلك بنا جميعا صراطه المستقيم ، وأن يرزقنا جميعا العلم النافع ، والعمل به ، والتأدب بالآداب الشرعية ، والخلق العظيم ، الذي أثنى الله به على نبيه عليه الصلاة والسلام ، ولنذكر قوله عليه الصلاة والسلام : [من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة]فالأمر في طلب العلم عظيم ، والخطب في التفقه في الدين كبير.. ولنذكر أيضا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : [من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين] رواه الشيخان من حديث معاوية رضي الله عنه ، وهذا الحديث العظيم يدلنا على أن التفقه في الدين من الدلائل على أن الله أراد بالعبد خيرا ، ومفهومه أن من لم يتفقه في الدين فذلك مخذول لم يرد الله به خيرا. ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ونسأله سبحانه أن يوفق الجميع لما يرضيه ، وأن يتوفانا مسلمين ، وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، وأن يول عليهم خيارهم ، ويصلح قادتهم ، وأن يكثر بينهم دعاة الهدى ، وأن يرزقهم جميعا وفي كل مكان الفقه في دينه ، والعمل بسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .. والله أعلم وصلى الله وسلم على محمد.

موسى بين يدي الخضِر

(عليهما السلام)

للعلم رحلة ومجاهدة :

لم تكن رحلة موسى - عليه السلام - إلا أثراً لما كان منه هو، إذ إنه كان في ملأ من بني إسرائيل ، إذ جاءه رجل فقال : هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال موسى : لا. فأوحى الله إلى موسى : بلى عبدنا خضر. فسأل موسى السبيل إليه فجعل الله له الحوت آية ، ..هذا عند البخاري وعند مسلم [1] من وجه آخر عن ابن إسحاق بلفظ : "ما أعلم في الأرض رجلاً خيراً أو أعلم مني" ، فمجيء هذه الرحلة رغبة في الاستزادة من العلم وحثّاً على التواضع وحرصاً على طلب العلم "وليس قول موسى - عليه السلام - : أنا أعلم كقول آحاد الناس مثل ذلك ولا نتيجة قوله كنتيجة قولهم فإن نتيجة قولهم العُجب والكبر، ونتيجة قوله المزيد من العلم والحث على التواضع ، والحرص على طلب العلم"[2] كما أنها - الرحلة - وحي أوحاه الله إليه من بعد أن "عتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه ، فأوحى الله إليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك"[3] فالرحلة في مجملها استجابة لأمر الله - تعالى - وإيقافاً لموسى - عليه السلام - على ما لم يقف عليه من

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب العلم من "صحيحه" وأخرج أطرافه في مواضع كثيرة منه (أنظر: الفتح، ٢٦٣/١) وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل من "صحيحه" (أنظر : شرح النووي ١٣٥/١٥).

(2) من كلام لابن المنير نقلاً عن الفتح، ٢٦٥/١.

(3)أخرجه البخاري في كتاب العلم من "صحيحه" وأخرج أطرافه في مواضع كثيرة منه (أنظر: الفتح، ٢٦٣/١) وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل من "صحيحه" (أنظر : شرح النووي ١٣٥/١٥).

قبل مع ما ذكر سلفاً من الاستزادة من العلم والحث على التواضع والحرص على الطلب إضافة إلى جملة الآداب التي أصبحت هدياً لمن سلك فجاج العلم أو سمْتاً لهم.

لقد جاءت الرحلات في طلب العلم اقتفاءً لأثر موسى في رحلته التي خلدها القرآن الكريم ، واستتبعتها السنة مسلكاً شرعياً، وأثر هذا باقٍ على وجه أخص عند سلف هذه الأمة - رضي الله عنهم - بمجرد تصفحك لكتاب الخطيب البغدادي "الرحلة في طالب الحديث"[1] تظفر بعدد من الرحلات تبين علو الهمة في استسهال وعورة الجادة وتكبد مشاق وعثاء السفر، وائتلاف الغربة. كل ذلك التماساً للعلم ورغبة في أن يسهل الله به طريقاً إلى الجنة وفي هذا المبتغى ودونه خرط القتّاد.

قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : "ما أنزلت آية إلا وأنا أعلم فيما أنزلت ولو أني أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل والمطايا لأتيته"[2].

ومن أشهر الرحلات رحلة جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - رواها مسلم في كتاب الجنة، (ج٤ ، رقم الحديث ٥٦) . ورحلة أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - رواها مسلم في كتاب البر، (ج٤ ، رقم الحديث ٥٨) . وكلاهما في رحلتيهما لسماع حديث واحد.

---

(1) ربما تملكك العجب إذا علمت أن الحافظ البغدادي في هذا الكتاب إنما خصه في الرحلة من لدن أهل الحديث لطلب الحديث الواحد، فأي مجلدات سيبلغ هذا الكتاب لو أراد الرحلة في طلب الحديثة جملة؟!.

(2) البخاري في فضائل القرآن، ١٨٦/٦، ومسلم في الفضائل ١٤٨/٧.

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.

٢ - صحيح بخاري ومسلم.

٣ - أخلاق حملة القرآن للآجري دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ص/٧٨).

٤ - مقالة لعبد الرحمن بن عبد الخالق آل يوسف.

٥ - Cd مجلة البيان.

٦ - مجلة الجندي المسلم.

٧ - مقالة للشيخ عائض بن عبد الله القرني.

٨ - مقالة لمحمد عز الدين توفيق.

٩ - مقالة للشيخ صالح بن غانم السدلان.

١٠ - مقالة لعبد الله بن سعد الشهراني.

١١ - مقالة لخالد بن صالح السيف.

١٢ - مقاله للدكتور أحمد ابن عبدالله الباتلي.

١٣ - موقع الإسلام على الإنترنت.

١٤ - موقع على الإنترنت (الساحة العربية).

١٥ - موقع الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله على الإنترنت.

١٦ - الشيخ أبو محمد صادق البيضاني (موقع العصر على الإنترنت).

١٧ - موقع الشيخ محمد الدويش على الإنترنت.

http://www.alshirazi.com/compilations/history/kasas_eebar/part1/1.htm
http://web.1asphost.com/alalem/new_page_6.htm

فهرس الكتاب

المقدمة ٣

آيات قرآنية في العلم مع تفسيرها ٥

أحاديث نبوية تحث على العلم ٦

العلم في ست كلمات ٨

أدب طلب العلم ومنهج الطلب ٩

منهج دراسة العلوم الإسلامية ١٨

فضيلة التعلم ٢٥

فضيلة التعليم ٢٦

أقوال العلماء في العلم ٢٨

صفات طالب العلم الناجح ٣١

نصائح لطلاب العلم ٣٢

العلاقة بين العلم والخلق ٣٣

أمثلة تؤكد على العلاقة بين العلم والخلق في الفكر التربوي الإسلامي ٣٦

الأستاذ ٤١

التلميذ ٤٦

أقوال الشعراء في طلب العلم ٤٨
لذة العلم ٥٠
النبي صلى الله عليه وسلم معلماً ٥٣
العلم علمان ٦٤
من أعظم ثمار العلم ٦٥
مسئولية طالب العلم ٦٧
موسى بين يدي الخضر (عليهما السلام)......................... ٧٥
للعلم رحلة ومجاهدة ٧٥
المصادر والمراجع ٧٨

كيف تكونين ناجحة ومحبوبة في

في

طلب العلم

الرواد للطباعة والنشر والتوزيع

عمان . شارع السلط . مجمع الفحيص التجاري
هاتف ٤٦٢٨٤٥٥ فاكس ٤٦٢٨٤٥٥
ص.ب ٧٦٤٩ الرمز البريدي ١١١١٨